الضوابط المنهجية للاتجاه الإشاري في تفسير روح المعاني للألوسي

إعداد: د/ غادة محمد عبد الرحيم محمد
أستاذ الفقه المقارن المساعد
قسم الشريعة الإسلامية
كلية دار العلوم-جامعة المنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومتبعي هديه إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد عني العلماء بالقرآن الكريم، وتنوعت هذه العناية ما بين تفسير لآياته، أو بيان لأحكامها، أو توضيح لأسباب نزوله، أو توجيه لقراءاته، أو غير ذلك من البحوث والدراسات التي قامت حوله.

وقد تبوأ تفسير القرآن الكريم مكان الصدارة بين هذه البحوث والدراسات، حيث كثرت التفاسير وتنوعت ما بين تفسير فقهي، وآخر لغوي، وثالث كلامي، ورابع صوفي أو إشاري، وغير ذلك من تلك التفاسير التي تشعبت على مر العصور، وتعددت حسب مشارب أصحابها واتجاهاتهم.

ولما كانت كتب التفسير تحوي بين دفتيها أقوالًا كثيرة تتفاوت فيما بينها بين الغث والسمين، والصحيح والضعيف، فقد كانت الحاجة ماسة للوقوف على أحدى هذه المظاهر التي تكشف عن اتجاه الإشارة في أحدى هذه التفاسير.

وتأسيسًا على ما سبق فقد عقدت العزم على الكشف عن الاتجاه الإشاري في أحدى هذه التفاسير، وهو تفسير الألوسي، روح المعاني، ومؤلفه العلامة المحقق شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي، مفتي بغداد، المتوفي سنة ١٢٧٠هـ سبعين ومائتين وألف، وهذا التفسير من أجلّ التفاسير وأوسعها وأجمعها، نظم فيه صاحبه روايات السلف بجانب آراء الخلف المقبولة، وألف فيه بين ما يفهم بطريق العبارة، وما يفهم بطريق الإشارة.

والواقع أن الموضوع دقيق، يحتاج إلى بصيرة وروية وغوص في أعماق الحقيقة؛ ليظهر ما إذا كان الغرض من هذا النوع من التفسير هو اتباع الهوى والتلاعب في آيات الله، كما فعل الباطنية؛ فيكون ذلك زندقة وإلحادًا، أو الغرض منه الإشارة إلى أن كلام الله –تعالى– لا يحيط به بشر؛ لأنه كلام خالق القوى، وأن لكلامه –تعالى– مفاهيم، وأسرارًا، ونكتًا، ودقائق، وعجائب لا تنقضي، فيكون ذلك من محض العرفان وكمال الإيمان.

لذا جاء هذا البحث بعنوان: الضوابط المنهجية للاتجاه الإشاري في تفسير روح المعاني للألوسي؛ ليكشف عن هذه الإشارات، ويضع لها الضوابط والأسس المنهجية للاستخدام، بحيث تكون بعيدة عن تأويلات الباطنية ومهاوي الصوفية.

حدود البحث، وأسباب اختيار الموضوع، وأهدافه:

سيتناول البحث الضوابط المنهجية للاتجاه الإشاري في تفسير روح المعاني للألوسي، وقد تم اختيار هذا الموضوع للأسباب التالية:

١. روح المعاني من أجلّ التفاسير وأوسعها وأجمعها، نظم فيه الألوسي روايات السلف بجانب آراء الخلف المقبولة، وألّف فيه بين ما يفهم بطريق العبارة وما يفهم بطريق الإشارة.

٢. الوقوف على الفوارق بين تفسير الباطنية والتفسير الإشاري.
٣. معرفة معايير وشروط قبول التفسير الإشاري.
٤. بيان موقف العلماء والمستشرقين من هذا الاتجاه من خلال تفسير روح المعاني.
٥. الكشف عن الأصل الشرعي لهذا التفسير.
٦. بيان مناهج أهل التفسير الإشاري عند الألوسي.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات والبحوث لامست هذا الموضوع من زوايا مختلفة تختلف عن تناولي له، وقد اطلعت على بعض هذه الدراسات، ومنها:

١. التفسير الإشاري في تفسير الإمام الألوسي، رسالة ماجستير، الباحث/ هاني خليل محمد عابد، الجامعة الأردنية، عمان ٢٠٠٣م، حيث أظهرت الدراسة مدى اعتماد الألوسي على التفسير الإشاري، والجدة التي حققها من خلال إدخاله هذا التفسير إلى تفسيره، وكما أظهرت المعوقات التي صرفت أهل التفسير عن التفسير الإشاري، إضافة لحديث طويل عن الألوسي وتفسيره.

٢. الاتجاه الإشاري في تفسير الألوسي (سورة الفاتحة وسورة البقرة): دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه، للباحث/ علي مكي حسن، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان، ٢٠١١م، تناولت الدراسة تعريف التفسير والتأويل، ونشأة التفسير وأقسامه، ثم التعريف بالألوسي، وتفسيره، ومكانته، وعرض الباحث لتحليل آيات من سورتي الفاتحة والبقرة.

٣. وهناك أبحاث كثيرة تناولت التفسير الإشاري عند مفسرين خلاف الألوسي، منها على سبيل المثال، التفسير الصوفي الإشاري للقرآن الكريم: منهج الاستنباط والدلالة الجديدة (كلمة الأرض نموذجًا)، للباحث/ حسين علي عكاش، بحث منشور بمجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية بالجامعة الأسمرية الإسلامية، ٢٠٠٨م، وبحث: الاتجاه الإشاري: مفهومه، ومصطلحه، وأقطابه، للباحث/ أبي سفيان

محمد الحاج عبد المحمود، منشور بمجلة كلية دار العلوم – جامعة القاهرة، العدد ١١٧، ٢٠١٨م.

ويأتي بحثي هذا ليكمل ما بدأه الباحثون السابقون، غير أن تناولي لهذا الموضوع مختلف شكلًا ومضمونًا عن الدراسات السابقة، فلم يركز بحثي على التعريف بالألوسي وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته مثلما أشارت بعض الدراسات، أو التركيز على روح المعاني وموقعه بين التفاسير المختلفة مثلما أشارت دراسات أخرى، إنما انطلق البحث من تحديد واضح لمصطلح التفسير الإشاري، ثم ركز البحث على موقف العلماء والمستشرقين منه، ثم شروط التفسير الإشاري، والأصل الشرعي له، ومناهج أهل التفسير الإشاري عند الألوسي، ونماذج إشارية في روح المعاني.

المنهج المتبع في البحث:

المنهج الوصفي التحليلي هو منهج هذا البحث، الذي يقوم على وصف وتحليل النصوص من خلال قراءة تحليلية لبعض النصوص التي تصنف تحت التفسير الإشاري من روح المعاني للألوسي، وجمع ما كتب حول هذا الموضوع، ثم بيان موقف الألوسي من هذه الإشارات.

وقد اشتمل البحث على مقدمة، وستة مباحث، وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتشمل التعريف بالموضوع، وحدود البحث، وأسباب اختياره وأهدافه، ثم الدراسات السابقة، والمنهج المتبع في البحث، وخطته.

المبحث الأول: تعريف التفسير الإشاري.

المبحث الثاني: الأصل الشرعي للتفسير الإشاري.

المطلب الأول: إشارة القرآن إلى التفسير الإشاري.

المطلب الثاني: تنبيه الرسول إلى التفسير الإشاري.

المطلب الثالث: معرفة الصحابة بالتفسير الإشاري.

المطلب الرابع: شروط قبول التفسير الإشاري.

المبحث الثالث: أقوال العلماء في التفسير الإشاري

المبحث الرابع: شهاب الدين الألوسي (ت١٢٧٠ هـ) وتفسيره روح المعاني والتفسير الإشاري عنده.

المبحث الخامس: مناهج أهل التفسير الإشاري عند الألوسي.

المبحث السادس: نماذج إشارية من تفسير الألوسي.

الخاتمة: أهم النتائج.

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول

تعريف التفسير الإشاري

لسنا بحاجة لتعريف (التفسير) فقد تناولته دراسات وبحوث كثيرة بالتعريف وبيان أنواعه وغير ذلك، **أما مصطلح الإشاري**:فمن الإشارة وهي الإيماء بالكف أو العين أو الرأس، وهي ما يستعمل لتفهيم وتوضيح المعاني، وتكون حقيقة في الأشياء الحسية إذا عُدِيت بـ (إلى) يقال: أشار إليه باليد. وإذا عديت بـ (على) فهي في الرأي والأشياء المعنوية ويقال: أشار عليه: إذا أمره وأعطاه رأيه، وهي الاستشارة[١]، قال -تعالى:﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[الشورى: ٣٨].

من هنا كانت بداية التفسير الإشاري أو الإيماني كما تسميه بعض الكتب، فما حقيقته؟

التفسير الإشاري هو: "تأويل آيات القرآن على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك"[٢]، قال الزرقاني:"التفسير الإشاري هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأهل الإشارة والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضًا"[٣]، أو هو:"تفسير القرآن بغير الظاهر لإشارة تظهر لأرباب الصفاء مع عدم إبطال الظاهر"[٤].

وعرفه الصابوني بأنه: "تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممّن نوّر الله بصائرهم؛ فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في

(١) الفيروزابادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، د.ت.ط، ٢٣٥/١.

(٢) الذهبي، محمد حسين، التفسير والمفسرون، مكتبةوهبة، القاهرة، د.ت، ٢٦١/٢.

(٣) الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ٥٢/٢.

(٤) التفسير والمفسرون، ٣٨٨/٢.

أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينهما وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة"[١].

فعندما يترقى الإنسان في مراتب تزكية النفس وتطهر روحه يفتح الله عليه فتحًا كبيرًا، فيرى ما لا يراه الكثير من أهل النظر، فالذي يصل إلى درجة يحبه الله فيها يكون كما جاء في الحديث القدسي: "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"**[٢]، هذا المعنى ينطبق على من يتقرب إلى الله، فإنه يرى ويسمع ويبطش ويمشي بنور من الله.

وقد عُرف التفسير الصوفي بالتفسير الإشاري، ويتمثل -بزعمهم- في أن يرى المفسر معنى آخر غير المعنى الظاهر، ربما تحتمله الآية الكريمة، ولكنه لا يظهر للعامة من الناس، وإنما يظهر لخاصتهم، ومن فتح الله قلبه، وأنار بصيرته، وسلكه ضمن عباده الصالحين الذين منحهم الفهم والإدراك، وهذا النوع من العلم ليس من العلم الكسبي الذي يُنال بالبحث والمذاكرة، وإنما هو من العلم الوهبي الذي

---

(١) الصابوني، محمد علي، التبيان في علوم القرآن، ط٣، دار إحسان للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ٢٠٠٣م، ص ١٩١، وينظر: د. عبدالله خضر حمد، الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، دارالقلم، بيروت- لبنان، ط١،١٤٢٣هـ - ٢٠١٧ م،١/ ١٣٣.

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، ١٠٥/٨، وفي معنى الحديث ينظر: العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق وتصحيح: ابن باز مستو، دار اللواء، الرياض، ط٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، باب التواضع، ٣١٥/١٨، حديث رقم ٦٠٢١.

هو أثر التقى والاستقامة والصلاح، كما قال -تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢][(١)].

والتفسير الصوفي يعتمد أساسًا على أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، ويقصد بالظاهر الشريعة، وبالباطن الحقيقة، وعلم الشريعة علم المجاهدة، وعلم الحقيقة علم الهداية، وعلم الشريعة علم الآداب، وعلم الحقيقة علم الأحوال، وعلم الشريعة يعلمه علماء الشريعة، وعلم الحقيقة يعلمه العلماء بالله، يقول سهل بن عبد الله التستري في تفسيره، وهو أول ما ظهر للصوفية من تفسير للقرآن: "ما من آية في القرآن إلا ولها أربعة معانيَ: ظاهر، وباطن، وحد، ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد حلالها وحرامها، والمطلع إشراف القلب على المراد بها فقهًا من الله -عز وجل، فالعلم الظاهر علم عام، والفهم لباطنه والمراد به خاص"[(٢)].

يقول السلمى في مقدمة تفسيره عن الباعث لإقدامه على كتابة تفسير القرآن: "لما رأيت المتوسمين بعلوم الظاهر قد سبقوا في أنواع فرائد القرآن، من قراءات، وتفاسير، ومشكلات، وأحكام، وإعراب، ولغة، ومجمل، ومفصل، وناسخ، ومنسوخ، ولم يشتغل أحد منهم بفهم الخطاب على لسان أهل الحقيقة إلا آيات متفرقة، أحببت أن أجمع حروفًا أستحسنها من ذلك، وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة إلى ذلك، وأرتبه على السور حسب وسعي وطاقتي[(٣)].

وقد ظهر أيضًا تفسير ثالث لعبد الكريم القشيرى سلك فيه مسلك الصوفية في إدراك الإشارات التي يراها الصوفي خلف آيات القرآن، وسماه لطائف الإشارات، قال عن الباعث لتأليفه: "وكتابنا هذا يأتي على طرف من إشارات

(١) الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية،١/١٣٣.

(٢) التستري، سهل بن عبدالله، تفسير القرآن العظيم، مطبعة السعادة، سنة ١٩٠٨م، ص٦١.

(٣) التكريتي،سلمان نصيف جاسم، تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية، دراسة وتحقيق حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن بن محمد بن الحسين الأزدي السلمي، رسالة ماجستير، مكتبة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٢٢، وانظر: الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، (١/ ١٣٣).

القرآن على لسان أهل المعرفة، إما من معاني قولهم أو قضايا أصولهم، سلكنا فيه طريق الإقلال؛ خشية الملال، مستمدين من الله –تعالى– عوائد المنة، متبرئين من الحول والمنة، مستعصمين من الخطأ والخلل، مستوثقين لأصوب القول والعمل"(١).

ولم يظهر في تاريخ التفسير الإشاري حتى القرن الخامس الهجري، أهم من حقائق التفسير للسلمي، ولطائف الإشارات للقشيري، وإن كان القشيري قد استفاد من السلمي فائدة كبرى، واقتبس منه كثيرًا من آرائه، وقد ظهر تفسير القرآن المنسوب لابن عربي، ولكنه في الحقيقة للكاشاني السمرقندي، ويعد هذا التفسير أهم تفسير إشاري بعد اللطائف، قال مؤلفه في مقدمته: "ما نزل من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حد ومطلع، فالظهر هو التفسير، والبطن هو التأويل، والحد هو ما تتناهى إليه الفهوم من معنى الكلام، والمطلع ما يصعد إليه منه فيطلع على شهود الملك العلام"(٢)، وهذا يؤكد أن التفسير الإشاري لم يتوقف حتى القرن السابع الهجري، وهو القرن الذي توفي فيه ابن عربي سنة (٦٣٨هـ).

ويستدل السراج الطوسي على التفسير الإشاري، فيقول: "وقال –تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ [الزمر: ١٨]، فالقرآن كله حسن، ومعنى

(١) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، القاهرة، سنة ١٩٨١م،١/٤١.

(٢) تفسير ابن عربي: ٤/ ١، وانظر تحقيق نسبته في: تفسير المنار: ١/ ١٨، وحامد محمود الزفري، محي الدين بن عربي مفسرًا، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر، القاهرة، سنة ١٩٧٢: ص١٧٤، والدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ)، تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢، د. ت، ١/١٥.

اتباع الأحسن ما يكشف للقلوب من العجائب عند الاستماع، وإلقاء السمع من طريق الفهم والاستنباط"[١].

ويمكن القول بأن السمة الغالبة في التفسير الإشاري لدى الصوفية تتمثل فيما يأتي[٢]:

١ – أن للقرآن ظاهرًا وباطنًا، وأن الظاهر للعوام، والباطن لا يدركه إلا الخواص، وإدراك الخواص مستمد من فيض إلهي ينير بصائرهم، ويكشف لهم –بزعمهم– عن معارف لدنية مباشرة.

٢ – أن العلم بالقرآن على هذا النحو يفترق عن العلوم القرآنية الأخرى في بدايته، وفى طرائقه، وفي غاياته، فضلًا عن أنه يفترق عن سائر العلوم بضرورة العمل؛ فالعالم لابد أن يكون عاملًا، وعمله هو جهاده ورياضاته التي تؤدي إلى صقل إرادته، وشحذ همته، وتنقية مرآته الباطنية من كل شائبة؛ فالتفسير عمومًا ليس تفسيرًا مباشرًا، بل يسلك تزكية النفوس، وتطهير القلوب، والحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة.

٣ – أن التفسير الإشاري وإن كان يعتمد على ما وراء العبارة الظاهرية فإنه لم يخل من بعض ما نقل من الآثار على النحو المذكور في التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأي بالطريقة الاستنباطية، أو تفسيرات تعتمد على معاني الألفاظ والتفسيرات البلاغية.

---

(١) الطوسي، أبو نصر السراج، اللمع، حققه وقدم له وخرج أحاديثه د/ عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المتنبي ببغداد، لجنة نشر التراث الصوفي، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م، ص١٠٥ وما بعدها.

(٢) انظر:حسن عبد التواب، التفسير الصوفي للقرآن، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف، القاهرة، سنة ١٩٧٢م، ص١٤٤، والكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، ١/ ١٣٤.

٤ – تتعرض هذه التفسيرات لكثير من المعاني والمصطلحات الصوفية التي تكشف عن طريقتهم وتجربتهم، ولا سيما أنهم يوجهون الآيات كشواهد لهذه الرموز والمصطلحات.

٥ – لم تسلم هذه التفسيرات من الإسرائيليات، والاستشهاد بغير القرآن والسنة، ولم تتحرَّ الدقة في ثبوت الحديث، أو مراعاة التعليق على الأسانيد، وكذلك لم تخل من فكر باطني.

المبحث الثاني

الأصل الشرعي للتفسير الإشاري

هل للتفسير الإشاري أصل شرعي؟

لم يكن التفسير الإشاري الذي يسير وفق ضوابط وقواعد منهجية بالأمر الجديد في إبراز معاني القرآن الكريم، بل هو أمر معروف منذ نزوله على رسول الله -صلى الله عليه وسلم، أشار إليه القرآن، ونبَّه عليه الرسول -عليه الصلاة والسلام، وعرفه الصحابة -رضوان الله -تعالى- عنهم، وقالوا به، وتفصيل ذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: إشارة القرآن إلى التفسير الإشاري:

أشار القرآن الكريم إلى هذا الاتجاه من التفسير في مواطن كثيرة منها:

استدل بكثير من الآيات القرآنية العامة التي تدعو إلى التدبر وفهم كتاب الله بالتأمل وحسن الاستماع، كقوله -تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ١- ٣]، وكقوله: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨]، والمعنى: لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب، ولم يرد أنهم لا يفهمون نفس الكلام، وكقوله -تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد: ٢٤]، حيث دل على أن ظاهر المعنى شيء، وهم عارفون به؛ لأنهم عرب، والمراد شيء آخر، وهو الذي لا شك فيه أنه من عند الله، والتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن، فلم يحصل منهم تدبر، وكقوله -تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ۝٣٧﴾ [ق: ٣٧]، وقال أبو سعيد الخراز: "أول الفهم لكتاب الله -عز وجل- العمل به؛ لأن فيه العلم والفهم والاستنباط،

وأول الفهم إلقاء السمع والمشاهدة؛ لقوله -عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: ٣٧]"[(١)].

فهذه الآيات كلها تشير إلى أن القرآن له ظهر وبطن؛ وذلك لأنّ الله -سبحانه وتعالى- ينعى على الكفار أنهم لا يكادون يفقهون حديثًا، ويحضهم على التدبر فى آيات القرآن الكريم؛ لا يريد بذلك أنهم لا يفهمون نفس الكلام نفسه، أو حضهم على فهم ظاهره؛ لأن القوم عرب، والقرآن لم يخرج عن لغتهم فهم يفهمون ظاهره، ولا شكّ، وإنما أراد بذلك أنهم لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب، وحضَّهم أن يتدبروا فى آياته؛ حتى يقفوا على مقصود الله ومراده، وذلك هو الباطن الذى جهلوه، ولم يصلوا إليه بعقولهم[(٢)].

المطلب الثاني: تنبيه الرسول إلى التفسير الإشاري:

نبه الرسول -صلى الله عليه وسلم- في أحاديثه على هذا الاتجاه، ومن هذه الأحاديث:

١- قوله: **"لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد ومطلع"**[(٣)]، فلفظ الظاهر والباطن على زعمهم قرآنيان، ولا يمكن الاعتراض على الفكرة القائلة بأن في

(١) الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، ١/ ١٣٤.

(٢) التفسير والمفسرون (١/ ٢٦٢).

(٣) الحديث لا أصل له، ولم أجده في كتب السنة مرفوعًا إلى النبي – صلى الله عليه وسلم، ولكنه أثر موقوف على عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه، ولفظه قال: "إن القرآن ليس منه حرف إلا له حد ولكل حد مطلع". انظر: الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢، ٩/١٣٦، (٨٦٦٨)، والثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم (المتوفى: ٤٢٧ هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان وآخرون، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، (٧/ ٢١٩)، ونبيل أحمد صقر، منهج الإمام الطاهر ابن عاشور في التفسير، الدار المصرية – القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، والحديث رواه أبو يعلى في "المسند" ٩/ ٨٠ (٥١٤٩) والطبري في"جامع البيان"١/ ١٢، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" ٨/ ١٠٩ (٣٠٩٥)، والطبراني في "المعجم الكبير"١٠/ ١٠٥ (١٠١٧) وفي=

القرآن ناحية واضحة تدرك في ضوء الاشتقاق، وناحية أخرى ربما كانت أعمق بالنسبة للأولى؛ لأن هذه الفكرة يمكن أن تطبق في الواقع على أي نص، فكل نص له ناحية قريبة مباشرة تدرك بلا عناء، وناحية أخرى تحتاج إلى عمل وجهد في استيعابها وفهمها، كما لا يمكننا أن ننكر أن الحقيقة الإنسانية الثابتة تشير إلى

"المعجم الأوسط" ١/ ٢٣٦ (٧٧٣)، وكلهم من طريق مغيرة، عن واصل بن حيان، عن عبد الله بن أبي الهذيل، عن أبي الأحوص، عن عبد الله به بنحوه مرفوعًا، وعند بعضهم زيادة في أوله وردت في الصحيح، قال الهيثمي في "مجمع البحرين في زوائد المعجمين" ٦/ ١٠٤: قلت: هو في الصحيح خلا قوله: "وأنزل القرآن..."، ورواه أبو يعلى في "المسند" ٩/ ٢٧٨ (٥٤٠٣) والبزار في"البحر الزخار" ٥/ ٤٤١ (٢٠٨١)، والطحاوي في"شرح مشكل الآثار" ٨/ ٨٧ (٣٠٧٧)، وابن حبان في"صحيحه"، انظر "الإحسان" ١/ ٢٧٦ (٧٥)، كلهم من طريق سليمان بلال، عن محمد بن عجلان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص به بنحوه دون قوله: "ولكل حرف حد ومطلع"، ويرى البزار في "البحر الزخار" ٤٤١/٥ أن أبا إسحاق قال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا من حديث الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله، وورد عند ابن حبان: عن أبي إسحاق الهمداني، ويؤيد أنه الهجري أن الطبري رواه في "جامع البيان" ١/ ١٢ من طريق سفيان عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص به، قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٧/ ١٥٢: رواه البزار، وأبو يعلى في "الكبير"...ورجال أحدهما ثقات، ورواية البزار عن محمد بن عجلان عن أبي إسحاق، قال في آخرها: لم يرو محمد بن عجلان عن إبراهيم الهجري غير هذا الحديث، قلت: ومحمد بن عجلان إنما روى عن أبي إسحاق السبيعي، فإن كان هو أبو إسحاق السبيعي، فرجال البزار أيضًا ثقات، وقال ابن حجر في "مختصر زوائد البزار" ٢/ ١٢٩: هذا إسناد حسن، قال الطبري في "جامع البيان" ١/ ٧٢: فظهره: الظاهر في التلاوة، وبطنه: ما بطن من تأويله، وقوله: "وإن لكل حد من ذلك مطلعًا" فإنه يعني أن لكل حدٍّ من حدود الله التي حدها فيه –من حلال، وحرام، وسائر شرائعه– مقدارًا من ثواب الله وعقابه، يعاينه في الآخرة، ويطلع عليه، وعلق الشيخ أحمد شاكر على قول الطبري بقوله: الظاهر هو ما تعرفه العرب من كلامها، وما لا يعذر أحد بجهالته من حلال وحرام، والباطن: هو التفسير الذي يعلمه العلماء بالاستنباط والفقه، ولم يرد الطبري ما تفعله الطائفة الصوفية، وأشباههم في التلاعب بكتاب الله وسنة رسوله، والعبث بدلالات ألفاظ القرآن، وادعائهم أن لألفاظه ظاهرًا هو الذي يعلمه علماء المسلمين، وباطنًا يعلمه أهل الحقيقة فيما يزعمون. انظر: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، (١/ ٣١٦)، وانظر: الإتقان في علوم القرآن، ٢٢٥/٤.

عدم تساوي الناس في الفهم والإدراك، وقد ظهرت تلك الحقيقة في حياة الرسول -صلى الله عليه وسلم، وصحابته -رضي الله عنهم- الذين تفاوتت أقدارهم في سرعة فهمهم للقرآن، وهذا يفسر ما أثر عنهم من تفسيرات مختلفة.

هذا هو أشهر ما قيل فى معنى الظهر والبطن، وأما قوله فى الحديث الأول: "**ولكل حرف حد**"، فمعناه على ما قيل: لكل حرف حد، أي: منتهى فيما أراد الله من معناه، أو لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب، والأول أظهر، وقوله: "**ولكل حد مطلع**"، معناه على ما قيل أيضًا: لكل غامض من المعاني والأحكام مطلع يُتوصل به إلى معرفته ويوقف على المراد به، وقيل: كل ما يستحقه من الثواب والعقاب يطلع عليه فى الآخرة عند المجازاة، والأول أظهر أيضًا[١].

٢- الحديث الذى أخرجه الديلمي من رواية عبد الرحمن بن عوف مرفوعًا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "**القرآن تحت العرش، له ظهر وبطن يُحاج العباد**"[٢].

ففى هذين الحديثين تصريح بأن القرآن له ظهر وبطن، ولكن ما هو الظهر وما هو البطن؟

اختلف العلماء فى بيان ذلك، فقيل: ظاهرها-أي: الآية -لفظها، وباطنها: تأويلها، وقال أبو عبيدة: إن القَصص التى قصَّها الله -تعالى- عن الأُمم الماضية وما عاقبهم به ظاهرها الإخبار بهلاك الأوَّلين، وحديث حَدَّث به عن قوم، وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم، فيحل بهم مثل ما حلَّ بهم، ولكن هذا خاص بالقَصص، والحديث يعم كل آية من آيات القرآن[٣].

(١) التفسير والمفسرون، ٢/٢٦٢.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،١/٣١٦.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢/٨٠، وانظر: التفسير والمفسرون، ٢/٢٦٢.

وحكى ابن النقيب قولًا: إن ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق[١].

٣. "عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ فَقَالَ: «**إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هُوَ المخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ"، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلَّا خُلَّةَ الإِسْلاَمِ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ**»[٢] "؛ فأبو بكر الصديق فهم بطريق الإشارة ما لم يفهمه عامة الصحابة، وأسعد بذلك رسول الله، وكان الأمر كما قال.

٤. عن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ كَرِهَ لِزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ نَسْخَ الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُعْزَلُ عَنْ نَسْخِ كِتَابَةِ الْمُصْحَفِ وَيَتَوَلاهَا رَجُلٌ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْلَمْتُ وَإِنَّهُ لَفِي صُلْبِ رَجُلٍ كَافِرٍ، يُرِيدُ: زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَلِذَلِكَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه: يَا أهل الْعِرَاقِ، اكْتُمُوا الْمَصَاحِفَ الَّتِي عِنْدَكُمْ وَغُلُّوهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿**وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٦١]، فَالْقُوا اللهَ بِالْمَصَاحِفِ[٣].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢/٨٠.

(٢) صحيح البخاري، ٥/٥٨، (٣٩٠٤).

(٣) عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة، ١٣٩٩ هـ (١٠٠٥/٣)، ومحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى:=

فالغلول، وهو إخفاء الغنائم طمعًا قبل تقسيمها، وهو فعل المجرمين، وظاهر الآية ورد في عقابهم وفضحهم يوم القيامة، وقد استخدمها ابن مسعود –رضي الله عنه– بطريق الإشارة فيمن غلّ القرآن وأخفاه، ويرد عليهم بأن الصحابة أنكروا عليه قوله، ولم ينكروا عليه طريق الإشارة التي فهم بها الآية، فقَالَ الزُّهْرِيُّ: "فَبَلَغَنِي أَنَّ ذَلِكَ كَرِهَهُ مِنْ مَقالَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رِجَالٌ مِنْ أَفَاضِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ"(١).

المطلب الثالث: معرفة الصحابة بالتفسير الإشاري:

وأما الصحابة فقد نُقِل عنهم من الأخبار ما يدل على أنهم عرفوا التفسير الإشارى وقالوا به، أما الروايات الدالة على أنهم يعرفون ذلك فمنها:

١– ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق الضحَّاك عن ابن عباس أنه قال: "**إن القرآن ذو شجون وفنون، وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبه، ولا تُبلغ غايته، فمَن أوغل فيه برفق نجا، ومَن أخبر فيه بعنف هوى، أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومُحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة، وبطنه التأويل، فجَالِسُوا به العلماء، وجَانِبُوا به السفهاء**"(٢).

٢– وروى عن أبي الدرداء أنه قال: "**لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوهًا**"(٣).

٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م، ٢٨٤/٥.

(١) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط – التتمة تحقيق: بشير عيون، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، ط١، ١٣٨٩ هـ، ١٩٦٩م، ٥٠٣/٢، (٩٧٥).

(٢) محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمي الحنفي (المتوفى: ١١٥٦هـ)، بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، مطبعة الحلبي، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٤٨هـ، ٢٥٦/١، والتفسير والمسرون٢٦٣/٢.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣١٥/١.

٣. وعن ابن مسعود أنه قال: "**مَن أراد علم الأوَّلين والآخرين فليَثَوِّر القرآن**"[(١)]، وهذا الذى قالوه لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر، وأما الروايات الدالة على أنهم فسَّروا القرآن تفسيرًا إشاريًا فمنها:

أ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ» قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ، وَدَعَانِي مَعَهُمْ. قَالَ: وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نَدْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لاَ. قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ

(١) انظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ، ٣٦/١، والثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (المتوفى: ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، – ١٤١٨ هـ، ١٢٣/١، والسمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م، ١٢٣/١، والحديث ذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (١/ ٥٤٨) رقم (٢٤٥٤)، وعزاه إلى الديلمي، عن أنس مرفوعًا، وقد ورد هذا الحديث عن ابن مسعود لكن موقوفًا، فأخرجه الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٤٦)، رقم (٨٦٦٥) من طريق زهير، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٦٨)، وقال: رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح، وأخرجه الطبراني أيضا (٩/ ١٤٦)، رقم (٨٦٦٦) من طريق شعبة، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن عبد الله قال: «من أراد العلم فليثور القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين»، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص ٢٨٠)، رقم (٨١٤)، والفريابي في «فضائل القرآن» (ص- ١٩٧)، رقم (٧٨)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص ٣٦) رقم (٨٠) . وابن أبي شيبة (١٠/ ٤٨٥)، رقم (١٠٠٦٧) كلهم من طريق سفيان، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود قال: «إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين» .

فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا. قَالَ عُمَرُ: «**مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ**»(١).

والشاهد هنا أن ابن عباس –رضي الله عنه– فهم من خطاب الله معنى خفيًا وراء ظاهر الألفاظ لم يدركه عامة الصحابة في مجلسهم، وهذا يشبه عمل الصوفية في التفسير الإشاري، فبعض الصحابة لم يفهم من السورة أكثر من معناها الظاهر، أما ابن عباس وعمر فقد فهما معنى آخر وراء الظاهر، هو المعنى الباطن الذى تدل عليه السورة بطريق الإشارة.

ب– وأيضًا ما ورد من أنه لما نزل قوله –تعالى– فى الآية [٣] من سورة المائدة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ فرح الصحابة، وبكى عمر –رضى الله –تعالى– عنه، وقال: ما بعد الكمال إلا النقص، مستشعرًا نعيه –عليه الصلاة والسلام، فقد أخرج ابن أبى شيبة: "أن عمر –رضى الله –تعالى– عنه– لما نزلت الآية بكى، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم:"**ما يبكيك**"؟ قال: **أبكاني أنَّا كنا فى زيادة من ديننا، فأمّا إذا كمل فإنه لم يكمل شيء قط إلا نقص**، فقال –عليه الصلاة والسلام:"**صدقت**"(٢).

---

(١) صحيح البخاري، ١٤٩/٥، (٤٢٩٤).

(٢) الحديث ضعيف، أخرجه الطبري ١١٠٨٧ عن هارون بن عنترة عَنْ أَبِيهِ مرسلا، ومع إرساله هارون فيه ضعف، قال الذهبي في «الميزان» : وثقه أحمد ويحيى، وقال ابن حبان: منكر الحديث جدًا، لا يجوز الاحتجاج به، فالخبر ضعيف، أخرجه الطبري في التفسير: ٩/ ٥١٩، وللمزيد ينظر: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ، ٨٨/٧، رقم(٣٤٤٠٨)، وحمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ١٣٢/١، وأبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان، ط١، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م، ١٩٧/٧، وإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي=

فعمر –رضى الله عنه– أدرك المعنى الإشارى، وهو نعي رسول الله –صلى الله عليه وسلم، وأقرَّه النبيّ على فهمه هذا، وأما باقي الصحابة، فقد فرحوا بنزول الآية، لأنهم لم يفهموا أكثر من المعنى الظاهر لها[١].

هذه الأدلة مجتمعة تؤكد أن القرآن الكريم له ظهر وبطن، ظهر يفهمه كل مَن يعرف اللِّسان العربى، وبطن يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر، غير أن المعاني الباطنية للقرآن لا تقف عند الحد الذى تصل إليه مداركنا القاصرة، بل هي أمر فوق ما نظن، وأعظم مما نتصور، ولقد فهم ابن مسعود أن فى فهم معاني القرآن مجالًا رحبًا ومتسعًا بالغًا كما ذكرنا قوله آنفًا: **"مَن أراد علم الأوَّلين والآخرين فليُثَوِّر القرآن"**، وإلى هذا أشار الله –تعالى– بقوله: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال: ﴿**مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [يوسف: ١١١] .

ومهما يكن من شيء فإن ظاهر القرآن – وهو المنزَّل بلسان عربي مبين – هو المفهوم العربى المجرَّد، وباطنه هو مراد الله –تعالى– وغرضه الذى يقصد إليه من وراء الألفاظ والتراكيب، هذا هو خير ما يقال فى معنى الظاهر والباطن.

وعلى ذلك نقول: إن كل ما كان من المعاني العربية التي لا ينبني فهم القرآن إلا عليها داخل تحت الظاهر، فالمسائل البيانية، والمنازع البلاغية لا معدل لها عن

بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٧٦/٦، وعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الدر المنثور، دار الفكر – بيروت، ١٨/٣، وشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥ هـ، ٣٥٤/١، وإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، روح البيان، دار الفكر – بيروت، ٣٤٣/٢ .

(١) فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، ٣٦٩/١، والإتقان في علوم القرآن ٢٢٦/٤، والتفسير والمفسرون ٢٦٤/٢.

ظاهر القرآن، فإذا فهم الإنسان مثلًا الفرق بين "ضَيِّق" في قوله -تعالى- في الآية [١٢٥] من سورة الأنعام ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ وبين"ضائق"فى قوله -تعالى- فى الآية[١٢] من سورة هود: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾وعرف أن "ضيِّق" صفة مشبهة دالة على الثبوت والدوام فى حق مَن يُرد الله أن يضله، وأن "ضائق" اسم فاعل يدل على الحدوث والتجدد، وأنه أمر عارض له -صلى الله عليه وسلم، إذا فهم الإنسان مثل هذا فقد حصل له فهم ظاهر القرآن(١).

إذن فلا يُشترط فى فهم ظاهر القرآن زيادة على الجريان على اللِّسان العربى، وإذن كل معنى مستنبَط من القرآن غير جار على اللِّسان العربى فليس من تفسير القرآن في شيء، لا مما يُستفاد منه ولا مما يُستفاد به، ومَن ادَّعى فيه ذلك فهو مبطل فى دعواه.

أما المعنى الباطن، فلا يكفى فيه الجريان على اللِّسان العربى وحده، بل لا بد فيه مع ذلك من نور يقذفه الله -تعالى- فى قلب الإنسان، يصير به نافذ البصر سليم التفكير، ومعنى هذا أن التفسير الباطن ليس أمرًا خارجًا عن مدلول اللَّفظ القرآني، ولهذا اشترطوا لصحة المعنى الباطن شرطين أساسيين:

أولهما: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر فى لسان العرب بحيث يجري على المقاصد العربية.

وثانيهما: أن يكون له شاهد، نصًا أو ظاهرًا فى محل آخر يشهد لصحته من غير معارض.

أما الشرط الأول: فظاهر من قاعدة كون القرآن عربيًا، فإنه لو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب لم يوصف بكونه عربيًا بإطلاق؛ ولأنه مفهوم يلصق

(١) انظر: التفسير والمفسرون، ٢/٢٦٤.

بالقرآن، وليس فى ألفاظه ولا فى معانيه ما يدل عليه، وما كان كذلك فلا يصح أن يُنسب إليه أصلًا؛ إذ ليست نسبته إليه على مدلوله أولى من نسبة ضده إليه، ولا مرجح يدل على أحدهما، فإثبات أحدهما تَحَكُّمٌ وتَقَوُّلٌ على القرآن ظاهر، وعند ذلك يدخل قائله تحت إثم مَن قال فى كتاب الله بغير علم(١).

وأما الشرط الثانى: فلأنه إن لم يكن له شاهد في محل آخر، أو كان وله معارض صار من جملة الدعاوى التى تُدَّعى على القرآن، والدعوى المجرَّدة عن الدليل غير مقبولة باتفاق العلماء.

فإذا توافر هذان الشرطان فى معنى من المعاني الباطنة قُبِل؛ لأنه معنى باطن صحيح، وإلا رُفِض رفضًا باتًا؛ لأنه معنى باطن فاسد وتَقَوُّلٌ على الله بالهوى والتشهي.

المطلب الرابع: شروط قبول التفسير الإشاري:

من المفيد أن نؤكد أن التفسير الإشاري منه ما هو مقبول، ومنه ما ليس بمقبول، ولكي يكون التفسير الإشاري مقبولًا يجب توافر مجموعة من الشروط فيه، وهي:

أولًا: أن لا يكون التفسير الإشارى منافيًا للظاهر من النظم القرآنى، وذلك ضرورة كون القرآن عربيًا، ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾[الزخرف: ٣]، ولو كان له فهم لا يقتضيه كلام العرب لم يوصف بكونه عربيًا، بل يدخل قائله تحت وعيد من قال في كتاب الله بغير علم(٢).

(١) انظر: التفسير والمفسرون٢/٢٦٦.

(٢) انظر: نور الدين محمد عتر الحلبي، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح – دمشق، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، ص٩٩، ومحمد سالم أبو عاصي، علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، دار البصائر – القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص٩٠.

ثانيًا: أن يكون له شاهد شرعي يؤيده؛ وذلك لأنه إن لم يكن للتفسير الإشاري شاهد في محل آخر، أو كان له شاهد لكن له معارض- صار دعوى تدّعي على القرآن من غير دليل، والدعوى التي لا دليل عليها مرفوضة باتفاق العلماء(١).

ثالثًا: أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

رابعًا: أن لا يدَّعي أن التفسير الإشارى هو المراد وحده دون الظاهر، بل لا بد أن نعترف بالمعنى الظاهر أولًا؛ إذ لا يطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، "ومَن ادّعى فهم أسرار القرآن ولم يُحَكِّم التفسير الظاهر، فهو كمن ادَّعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب"(٢).

إذا علمتَ هذا، علمتَ بصورة قاطعة أنه لا يمكن لعاقل أن يقبل ما نُقِل عن بعض المتصوفة من أنه فسَّر قوله -تعالى- فى الآية [٢٥٥] من سورة البقرة: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ فقال: معناه "من ذلَّ" من الذل، "ذى" إشارة إلى النفس، "يشف" من الشفاء، "ع" أمر من الوعى، وما نُقِل عن بعضهم من أنه فسَّر قوله -تعالى- فى الآية [٦٩] من سورة العنكبوت: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ .. فجعل "لمع" فعلًا ماضيًا بمعنى أضاء، و"المحسنين" مفعوله.

هذا التفسير وأمثاله إلحاد فى آيات الله، والله -تعالى- يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ [فصلت: ٤٠]، قال الألوسى فى تفسير هذه الآية: "أى: ينحرفون فى تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة، فيحملونها على المحامل الباطلة، وهو مراد ابن عباس بقوله: يضعون الكلام فى غير موضعه"(٣).

---

(١) انظر: نور الدين محمد عتر الحلبي، علوم القرآن الكريم، ص٩٩.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون، (٢/ ٢٨٠)، والإتقان في علوم القرآن، ٢٢٦/٤.

(٣) الألوسي، شهاب الدين محمود بن محمد بن المهد، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد البارى عطية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ٣٧٨/١٢، وينظر: التفسير والمفسرون، (٢/ ٢٨٠)، وينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن،١/ ٢٠٧، وما بعدها.

هذه هى الشروط التي إذا توافرت فى التفسير الإشارى كان مقبولًا، ومعنى كونه مقبولًا عدم رفضه، لا وجوب الأخذ به، أما عدم رفضه فلأنه غير مناف للظاهر، ولا بالغ مبلغ التعسف، وليس له ما ينافيه أو يعارضه من الأدلة الشرعية.

وأما عدم وجوب الأخذ به فلأنه من قبيل الوجدانيات، والوجدانيات لا تقوم على دليل ولا تستند إلى برهان، وإنما هى أمر يجده الصوفي من نفسه، وسر بينه وبين ربه، فله أن يأخذ به ويعمل على مقتضاه، دون أن يُلزم به أحدًا من الناس سواه.

ومن أمثلة ما خالف الشروط تفسير سورة العاديات، حيث قالوا: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾: الريح تجري مستمرة، ﴿ضَبْحًا﴾: صوتها أثناء جريها، ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾: الغيوم ﴿قَدْحًا﴾: تحتك ببعضها فينشأ عن ذلك البرق، ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾: المغيثة بالمطر ﴿صُبْحًا﴾: تغيثكم غياثًا ظاهرًا كالصبح ... [العاديات١-٥]، وهكذا إلى آخر السورة من عجائب التحريف، وهذا تحريف مخالف لصريح اللغة، ومصادم لاتفاق المفسرين أنّ «العاديات» هي الخيل المسرعة تضبح «ضبحًا»، وهو اسم صوت الخيل وهي تسرع، فتصدم حوافرها الأرض؛ فتقدح الشرر «قدحًا»، فتغير «صبحًا»: تشن الهجوم على العدو صباحًا[١]، هذا هو الصواب في تفسير السورة، وليس ذلك التفسير الذي نقلناه سابقًا من الصواب بسبيل، إنما هو تمزيق للنص وعبث به[٢].

(١) انظر: تفسير الكشف والبيان، ٢٦٩/١٠.

(٢) انظر: نور الدين محمد عتر الحلبي، علوم القرآن الكريم، ص٩٩- ١٠٠.

المبحث الثالث

أقوال العلماء في التفسير الإشاري

للعلماء في التفسير الإشاري أقوالٌ، نجملها على النحو التالي:

١. رأى ابن الصلاح:

ينقل ابن الصلاح عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال:"صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أن هذا تفسير فقد كفر"، ثم يعقب على ذلك بقوله: "وأنا أقول: الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئا من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيرًا، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن، فإن النظير يذكر بالنظير، ومن ذلك قتال النفس في الآية المذكورة في قوله –تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] فكأنه قال: أمرنا بقتال النفس ومن يلينا من الكفار، ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك لما فيه من الإلهام والإلباس"[(١)].

٢. رأى الشاطبي:

يقسم الشاطبي الاعتبارات القرآنية الواردة على القلوب الطاهرة وأصحاب البصائر إذا صحت على كمال شروطها على ضربين:

أحدهما: ما يكون أصل انفجاره من القرآن، ويتبعه سائر الموجودات؛ فإن الاعتبار الصحيح في الجملة هو الذي يخرق نور البصيرة فيه حجب الأكوان من غير توقف، فإن توقف؛ فهو غير صحيح أو غير كامل، حسبما بينه أهل التحقيق

(١) ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين (المتوفى: ٦٤٣هـ)، فتاوى ابن الصلاح، تحقيق: د. موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم , عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ١/١٩٦-١٩٧، والكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، ١/ ١٣٧.

بالسلوك، **والثاني**: ما يكون أصل انفجاره من الموجودات جزئيها أو كليها، ويتبعه الاعتبار في القرآن.

فإن كان الأول فذلك الاعتبار صحيح، وهو معتبر في فهم باطن القرآن من غير إشكال، لأن فهم القرآن إنما يرد على القلوب على وفق ما نزل له القرآن، وهو الهداية التامة على ما يليق بكل واحد من المكلفين وبحسب التكاليف وأحوالها، لا بإطلاق، وإذا كانت كذلك؛ فالمشي على طريقها مشي على الصراط المستقيم؛ ولأن الاعتبار القرآني قلما يجده إلا من كان من أهله عملًا به على تقليد أو اجتهاد؛ فلا يخرجون عند الاعتبار فيه عن حدوده، كما لم يخرجوا في العمل به والتخلق بأخلاقه عن حدوده، بل تنفتح لهم أبواب الفهم فيه على توازي أحكامه، ويلزم من ذلك أن يكون معتدًا به لجريانه على مجاريه، والشاهد على ذلك ما نقل من فهم السلف الصالح فيه؛ فإنه كله جار على ما تقتضي به العربية، وما تدل عليه الأدلة الشرعية حسبما تبين قبل، وإن كان الثاني فالتوقف عن اعتباره في فهم باطن القرآن لازم، وأخذه على إطلاقه فيه ممتنع؛ لأنه بخلاف الأول؛ فلا يصح إطلاق القول باعتباره في فهم القرآن(١).

٣. رأى التفتازاني:

في شرحه للعقائد النسفية وتحت قول النسفي: "النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معانيَ يدعيها أهل الباطن إلحاد"، حيث علق سعد الدين التفتازاني بقوله: "سميت الملاحدة باطنية؛ لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها، بل لها معان لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية"(٢).

(١) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير (المتوفى: ٧٩٠هـ)، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١،١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، (٤/ ٢٥٣-٢٥٤).

(٢) التفتازاني، سعد الدين، شرح العقائد النسفية، تحقيق الدكتور/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م، ص١٤٣، وشرح العقائد النسفية مع حاشية جمع الفرائد بإنارة شرح=

قال: "وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها، ومع ذلك فنهيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان "محض العرفان"[(١)].

ونص **التفتازاني** هذا واضح الدلالة في بيان الفرق بين التفسير الإشاري الذي لا ينكر متعاطيه ظواهر النصوص التي هي أدعى إلى فهم أسرار القرآن، وبين تفسير الباطنية الملاحدة الذين يريدون هدم الشريعة.

٤. الزركشي:

قال الزركشي:"كلام الصوفية في تفسير القرآن: قيل: إنه ليس بتفسير، وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة، كقول بعضهم في قوله -تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣]: إن المراد: النفس، يريدون أن علة الأمر بقتال من يلينا هي القرب، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه"[(٢)].

ويفهم من كلام الزركشي أن إشارات الصوفية غير مرتبطة بالخط المنهجى للتفسير، والصوفي نفسه لا يقول بأن ما وقع له من مواجيد ومعان هو تفسير للقرآن، ولكنه قبس من إشراق، وفيض من فتح، لا يتعلق به حكم ولا يرتبط به واجب، ومن ثمّ فقد أطلق الصوفية على هذه المعاني (إشارات) كما فعل العلامة

العقائد ويليهما شرح ميزان العقائد، مكتبة المدينة، باكستان، ط١، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م، ص١٠٥، وتفسير الماتريدي، (١/ ٢٨١)، والكفاية في التفسير بالمأثور والدراية (١/ ١٣٨).

(١) شرح العقائد النسفية، ص١٤٣، وشرح العقائد النسفية مع حاشية جمع الفرائد بإنارة شرح العقائد، ص١٠٥.

(٢) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ٢/١٧٠، وانظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢/٨٧.

(ابن عجيبة) والعلامة الآلوسى، وإطلاق تسمية (التفسير) عليها يعد من قبيل العرف والمجاز[١].

٥. السيوطي:

ينقل السيوطي في الإتقان قول بعض العلماء أن لكل آية ستين ألف فهم، ما يدل على أن في فهم معاني القرآن مجالًا رحبًا ومتسعًا بالغًا، وأن المنقول من ظاهر التفسير لا ينتهي الإدراك فيه بالنقل، والسماع لابد منه في ظاهر التفسير ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، ولا يجوز التهاون في حفظ التفسير الظاهر، بل لا بد منه أولًا، إذ لا يطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب[٢].

وينقل السيوطي عن ابن عطاء الله تحديدًا للتفسير الإشاري، قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتابه لطائف المنن: "اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعاني العربية ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان، وثمة أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء في الحديث لكل آية ظهر وبطن، فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذه إحالة لكلام الله وكلام رسوله، فليس ذلك بإحالة، وإنما يكون إحالة لو قالوا: لا

(١) انظر: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩هـ، ١/٣٧.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ٤/ ٢٢٦.

معنى للآية إلا هذا، وهم لم يقولوا ذلك بل يقرؤون الظواهر على ظواهرها مرادًا بها موضوعاتها، ويفهمون عن الله -تعالى- ما أفهمهم[1].

ومن المفيد أن نشير إلى أن هذا كلام منصف، فقد وضع الحق في موضعه، وجمع بين النصوص الظاهرة والمعاني الخفية الواردة التي تشرق على قلب المؤمن العارف بالله، كما كان الحال مع الصدِّيق وعمر، ولا عجب فالله -تعالى- يعطي الحكمة من يشاء، ويضع الفهم فيمن أراد، وهذا هو القرآن الكريم يخبرنا عن داود وسليمان في أمر عرض عليهما، فحكم كل واحد منهما بحكم يخالف الآخر، فيقول: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾[الأنبياء: ٧٩] [2].

٦. رأي الرزقاني:

حذّر الزرقاني في مناهل العرفان من أن هذا التفسير -كما ترى- جاء كله على هذا النمط دون أن يتعرض لبيان المعاني الوضعية للنصوص القرآنية، وهنا الخطر كل الخطر؛ فإنه يخاف على مطالعه أن يفهم أن هذه المعاني الإشارية هي مراد الخالق إلى خلقه في الهداية إلى تعاليم الإسلام والإرشاد إلى حقائق هذا الدين الذي ارتضاه لهم، يقول: "ولعلك تلاحظ معي أن بعض الناس قد فتنوا بالإقبال على دراسة تلك الإشارات والخواطر، فدخل في روعهم أن الكتاب والسنة -بل الإسلام كله- ما هي إلا سوانح وواردات على هذا النحو من التأويلات والتوجيهات، وزعموا أن الأمر ما هو إلا تخييلات، وأن المطلوب منهم هو الشطح مع الخيال أينما شطح، فلم يتقيدوا بتكاليف الشريعة، ولم يحترموا قوانين اللغة

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٤/ ٢٢٧.

(٢) انظر: الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (١/ ٢٨٣).

العربية في فهم أبلغ النصوص العربية: كتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم"[١].

والأدهى من ذاك أنهم يتخيلون ويخيلون إلى الناس أنهم هم أهل الحقيقة الذين أدركوا الغاية واتصلوا بالله اتصالًا أسقط عنهم التكليف، وسما بهم عن حضيض الأخذ بالأسباب ما داموا في زعمهم مع رب الأرباب، وهذا -لعمر الله- هو المصاب العظيم الذي عمل له الباطنية وأضرابهم من أعداء الإسلام، كما يهدمون التشريع من أصوله ويأتون بنيانه من قواعده ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[٢].

ويفهم من سياق كلام الزرقاني أنه يحذر من هذه الإشارات إذا خلت من القواعد والضوابط التي تضمن سلامة تلك الإشارات وتوافقها مع الشريعة والسنة وقوانين اللغة.

٧. رأي الدكتور/ محمد حسين الذهبي:

يرى الذهبي أن الأدلة مجتمعة تقرر أن القرآن الكريم له ظهر وبطن، ظهر يفهمه كل من يعرف اللسان العربي، وبطن يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر، غير أن المعاني الباطنية للقرآن، لا تقف عند الحد الذي تصل إليه مداركنا القاصرة، بل هي أمر فوق ما نظن وأعظم مما نتصور، يقول: "أما المعنى الباطن فلا يقف على جريانه على اللسان وحده، بل لا بد فيه مع ذلك إلى نور يقذفه الله -تعالى- في قلب الإنسان، يصير به نافذ البصيرة سليم التفكير، ومعنى هذا أن التفسير الباطن ليس أمرًا خارجًا عن مدلول اللفظ القرآني"، ويقول أيضًا: "أما الصوفية أهل الحقيقة وأصحاب الإشارة فقد اعترفوا بظاهر القرآن ولم يجحدوه، كما اعترفوا بباطنه، ولكنهم حين فسروا المعاني الباطنية خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا،

(١) مناهل العرفان، ٢/ ٨٩.

(٢) المصدر السابق، ٢/ ٩٠.

فبينما تجد لهم أفهامًا مقبولة تجد لهم بجوارها أفهامًا لا يمكن أن يقبلها العقل أو يرضى بها الشرع"[١].

والخلاصة في رأي الذهبي أن مثل هذه التفاسير الغريبة للقرآن مزلة قدم لمن يعرف مقاصد القوم، وليتهم احتفظوا بها لأنفسهم ولم يذيعوها على الناس؛ فيوقعهم في حيرة واختلاف، منهم من يأخذها على ظاهرها ويعتقد أن ذلك هو مراد الله من كلامه، وإذا عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافها ربما كذّب بها أو أشكل عليه، ومنهم من يكذبها على الإطلاق ويرى أنها تقوّل على الله وبهتان، إذن ليتهم ما فعلوا ذلك؛ إذن لأراحونا من هذه الحيرة وأراحوا أنفسهم من كلام الناس فيهم وقذف البعض لهم بالكفر والإلحاد في آيات الله[٢].

٨. رأي الدكتور/ محمد كمال جعفر:

يرى الدكتور جعفر أنه يجب أن لا يغيب عن أذهاننا أنه من الطبيعي أن لا يقف الصوفي عند المعاني التقليدية في أي من القرآن أو السنة قولًا وعملًا؛ لأنه ليس كالفقيه أو العالم الذي يعتمد على النظر العقلى فحسب؛ لأن ذلك لا يشبع رغبته ولا يمد روحه بالزاد الضرورى، بل إنه يتعمق إلى معانيَ وراء المعنى الظاهر المباشر، وإن لم يكن من الضرورى أن تكون هذه المعاني العميقة متناقضة مع تلك المعاني الظاهرية، ويشير الدكتور جعفر إلى نقطة مهمة، وهي أن القرآن بالنسبة للصوفي يحمل حقيقتين متساويتين في الأهمية، فهو من جهة وحي تاريخي اتخذ وضعه في الزمان والمكان المحددين، وهو من جهة أخرى النبع الفياض الذي لا تنفد حقائقه الإلهية الصادرة عن الله -جلَّ جلاله، وهو لا متناهٍ؛ لأنه كلام الموجود الذي لا يتناهى، والمعاني الباطنية لكلماته غير متناهية كذلك أيضًا[٣].

---

(١) التفسير والمفسرون، ٣/ ٢٢.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٣/ ٤٢.

(٣) دكتور/ محمد كمال إبراهيم جعفر، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٠م، ص ١٥٧ وما بعدها.

كما أن الصوفي المتأمل قد يصل إلى مرحلة يدرك فيها أعمق المعاني الروحية في القرآن، وهذه الفكرة في حد ذاتها بصرف النظر عن الاعتبارات الأخرى قد تثير صعوبات، بحيث إنها تؤدي إلى أن يكون تفسير القرآن مختلفًا باختلاف الذوات المشتركة فيها؛ أي: أن يكون الموقف موقفًا ذاتيًا؛ مما ينتج عنه تفسيرات متعارضة، ويؤدي إلى اضطراب كبير، ولكن الحقيقة أن الصوفية -فعلًا- يرون أن تعدد التفسيرات أمر حتميّ؛ لأن معاني القرآن لا نهائية، وتتكشف لكل صوفي حسب طاقته الروحية، وحسب فضل الله الذي يؤتيه من يشاء، وليس في ذلك أي ضير ما دام هذا متصلًا بالمعاني الكمالية التي لا تتجاوز حدود المعاني المباشرة المتفق عليها(١).

ويرى الدكتور محمد كمال جعفر أنه لا بد قبل تقرير شروط قبول التفسير الصوفي التنبه إلى أن التفسير الصوفي يرتبط بنوعية اعتقاد المفسر، ويمكن إجمال تفسيراتهم في نوعين :

أ- **التفسير النظرى:** وهو التفسير المبني على نزعة فلسفية حيث تتوجه الآيات القرآنية لديهم وفق نظرياتهم وتتفق مع تعاليمهم(٢).

ب- **التفسير الإشاري:** هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ولا يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة(٣).

والفرق بين التفسير النظرى والتفسير الإشاري في أثرهما على تفسير القرآن أن التفسير النظرى يبنى على مقدمة علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولًا، ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك، أما التفسير الإشاري فلا يرتكز على مقدمات علمية بل يرتكز على مجاهدات رياضية، يأخذ الصوفي نفسه بها حتى يصل إلى درجة إيمانية

(١) التصوف، د. محمد كمال جعفر، ١٦٣.

(٢) المصدر السابق، ١٥٩.

(٣) التصوف، د. محمد كمال جعفر، ١٦٠.

تنكشف له فيها من سبل العبارات هذه الإشارات، وتتوالى على قلبه تحليل الآيات من المعاني الربانية.

كما أن التفسير الصوفي النظري يرى صاحبه أنه كل ما تحتمله الآية من معانٍ، وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تحمل عليه إلا هذا، على حسب طاقته، أما التفسير الإشاري فلا يرى الصوفي أن كل ما يراد من الآية بل يرى أن هناك معنى آخر تحتمله الآية، ويراد منها –أولًا، وقبل كل شيء– ذلك المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره.

ويرى الدكتور جعفر في شرطه لقبول التفسير الصوفي أن تأويل الصوفية للقرآن أو الفهم الخاص له إذا خلا من أي هدف سياسي أو اجتماعي، سواء كان لرد اعتبار، أو كوثيقة أمن، أو بسط سلطان، أو كسب ثروة، أو احتفاظ بمراكز نفوذ تتعلق بأشخاص أو بجماعات، إذا لم يكن له مثل هذا الهدف، وإذا كان لا يعارض نصًا قرآنيًا آخر، ولا يعارض الاستعمال العربي، ولا يؤدي إلى تحريف أو انحراف، وإذا كان وجوده يضيف ثروة روحية أو عقلية، وإذا كان لا يدعي من السلطة ما يجعله أمرًا ملزمًا، بفرض واحديته في الأحقية؛ إذا كان كذلك فهو تأويل مقبول، ليست له غاية إلا تعميق الفهم عن الله الذي ما زال كتابه منبعًا لا يغيض، ومعينًا لا ينضب للحقائق والأسرار(١).

٩. رأي المستشرقين:

يصرح المستشرق نيكلسون أستاذ مدرسة كمبردج الاستشراقية بأن التفسير الصوفي يشابه التفسير الشيعي، وكلاهما فيه من التأويلات المغرضة التي تتلاعب بالنصوص، فيقول: "استطاع الصوفية –متبعين في ذلك الشيعة– أن يبرهنوا بطريقة تأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلاً يلائم أغراضهم على أن كل آية بل كل كلمة من القرآن تخفي وراءها معنى باطنيًا لا يكشفه الله إلا لخاصة العباد، الذين تشرق

(١) انظر: التصوف، د. محمد كمال جعفر، ١٦١، وما بعدها.

هذه المعاني في قلوبهم وفى أوقات وجدهم، واعتبروا أنفسهم خاصة أهل الله الذين منحهم الله أسرار علم الباطن المودعة في القرآن والحديث، وأنهم استعملوا في التعبير عن هذا العلم لغة الرمز والإشارة، التي لا يقوى على فهمها غيرهم من المسلمين"[١].

وقد حكم نيكلسون على جميع الصوفية في تفسيرهم للقرآن بما رآه من الغلو في التفسير الإشاري عند المتأخرين، ولذا أدرك نيكلسون بعد ذلك استحالة وضع حكم منصف للتصوف قبل أن تعد مصادره الأولى إعدادًا علميًا دقيقًا، وقد تولى هو زمام المبادرة في نشر المخطوطات وتحقيقها والتعليق عليها وترجمتها وتحليل مادتها[٢].

ويرى المستشرق جولدتسهير أن العمل بما رُوي عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه: "**من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن**"، فإن ذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر، فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله –عز وجل– وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفى القرآن إشارة إلى مجامعها، وفيه رموز ودلالات لكل ما أشكل من ذلك على النظار، ومهمة التفسير هي استخراج كل ذلك العلم من الكتاب والتعمق في تفصيله، فأما النهي عن تفسير القرآن بالرأي فيرجع فقط إلى استغلال القرآن استغلالًا مذهبيًا لصالح النظريات الحزبية العقدية، وإلى الإشارة والرمز الاختياري الذي لا يؤمن أصحابه أنفسهم بصحته، وإيجاب الوقوف عند التفسير المأثور يهدف من ناحية أخرى إلى التمسك بالتفسير المنقول، ومن هنا كانت خواطر التفسير بالرأي ممنوعة، وكان الاعتماد المطلق في ذلك على الفهم العربي البسيط، ووراء هذه المعاني الظاهرة يحتجب المعنى الباطني،

(١) رينولد نيكلسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة الدكتور أبي العلا عفيفى، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر، ص٧٦.

(٢) د/ محمد عبد الله الشرقاوي، الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي مصادره وآثاره، تحليل ونقد، ط١، ١٩٩٣، ص ١٩ وما بعدها.

وتستكن أسرار القرآن التي ينبغي البحث عنها بتغلغل ونفاذ أعمق من ذلك، ولن يترتب على ذلك مناقضة لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه(١).

ويرى المستشرق هنري كوربان أن المستمع للكلام الإلهي يحق له أن يفهم منه كل شيء، وفى أي حقل من المعرفة وفى أي درجة من العمق والخفاء شرط ألا يتجاوز فهم السامع، ولا يتعدى التفسير من محتوى الكلام ودلالاته الوصفية حقيقة ومجازًا وكناية، حيث إن علم الله عين ذاته، ولا حد له، وسع كل شيء علمًا(٢).

ويفهم من كلام هذا المستشرق أنه يوافق على تفسير القرآن عن طريق التصوف، ولكنه لا يريد أن يسمح لهذا التفسير أن يستمر في خطواته إلى درجة أننا نطلق عليه تفسيرًا إشاريًا.

ويظهر إنصاف هذا المستشرق في حديثه عن القرآن والسنة، حيث يرى أن كلام الله هو الحقيقة بعينها، له جوانب من الدلالة ومراحل من التفسير، كل واحد منها مقصود للقائل، حجة على المستمع وطرق للمؤمن، ويرى أننا حينما نبحث في هذه الميزة التي يمتاز بها كلام الله يمكننا إلى حد كبير أن نلحق به كلام الرسول حيث لا ينطق عن الهوى بشرط أن تنقل لنا نصوص كلامه دون تحريف من الراوي(٣).

وما سبق من آراء يتبين أن العلماء قد اختلفوا في التفسير الإشاري، وتباينت فيه آراؤهم: فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، ومنهم من عده من كمال الإيمان ومحض العرفان، ومنهم من عدَّه زيغًا وضلالًا وانحرافًا عن دين الله -تبارك وتعالى،

(١) جولد تسهير، مذاهب التفسير الاسلامي، ترجمة: عبد الحليم النجار، تقديم ودراسة: محمد عوني عبد الرؤوف، طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ٢٠١٣م، ص٢٠٧.

(٢) هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروة، وحسن قبيسي، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط٢، ١٩٦٨، ص١٠.

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ص ١٠.

والواقع أن الموضوع دقيق يحتاج إلى بصيرة وروية ونظرة إلى أعماق الحقيقة ليظهر ما إذا كان الغرض من هذا النوع من التفسير هو اتباع الهوى والتلاعب في آيات الله، كما فعل الباطنية والشيعة، فيكون ذلك من قبيل الزندقة والإلحاد، أو الغرض منه الإشارة إلى أن كلام الله –تعالى– يعز أن يحيط به بشر إحاطة تامة، وأن كلامه –تعالى– وضعت فيه مفاهيم وأسرار ودقائق وعجائب لا تنقضى على مدار الأزمان، ويتوالى إعجازه مرة بعد أخرى، فيكون ذلك من محض العرفان وكمال الإيمان، كما نسب السيوطي إلى ابن عباس –رضى الله عنهما: "**إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أوغل فيه بعنف هوى، أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة، وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء**"(١).

(١) الإتقان في علوم القرآن، ٤/٢٢٦.

المبحث الرابع
شهاب الدين الألوسي (المتوفى ١٢٧٠هـ)
وتفسيره روح المعاني والتفسير الإشاري عنده

أبو الثناء، شهاب الدين، السيد محمود أفندى الألوسي البغدادى، ولد فى سنة ١٢١٧هـ (سبع عشرة ومائتين بعد الألف من الهجرة النبوية)، فى جانب الكرخ من بغداد.

كان -رحمه الله- شيخ العلماء فى العراق، وآية من آيات الله العظام، ونادرة من نوادر الأيام، جمع كثيرًا من العلوم، حتى أصبح علاَّمة فى المنقول والمعقول، فهَّامة فى الفروع والأصول، مُحَدِّثًا لا يُجارَى ومُفَسِّرًا لكتاب خالد النقشبندي، والشيخ علي السويدي، وكان -رحمه الله- غاية فى الحرص على تزايد علمه، وتوفير نصيبه منه، تلقى العلوم على شيوخ عصره، وكان صاحب حرص شديد على تحصيل العلم ذكيًا فطنًا، لا يكاد ينسى شيئًا سمعه، حتى صار إمام عصره بلا منازع، اشتغل بالتأليف والتدريس في سن مبكرة، فذاع صيته، وكثر تلاميذه، وتولى منصب الإفتاء، وبقي فيه حتى سنة ١٢٦٣هـ"[(١)].

قام بزياراتٍ علمية عديدةٍ إلى الأستانة وغيرها من منابع العلم في ذلك الزمن، وألف عددًا من الكتب العلمية القيمة، أشهرها كتابه في التفسير "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" الذي طالت مدة تأليفه فوصلت إلى خمسة عشر عامًا، ويعد هذا التفسير موسوعة علمية قيمة كبيرة لما احتواه من

(١) التفسير والمفسرون، ١/٢٥٠؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٧، ٢٠١٧م، ٤٤/١ ترجمة الألوسي، وينظر: الدكتور محمد علي الحسن، المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، موسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م،ص ٣٠٤، وقد اقتصرنا على هذه الإشارة حول الألوسي نظرًا لشهرته من جهة، ونظرًا لتناول كل الدراسات السابقة لاسمه وتلاميذه وشيوخه ومؤلفاته وغير ذلك.

العلوم، فقد جمع فيه خلاصة علم المتقدمين، وذكر فيه كثيرًا من إشارات العرفان المتعلقة بآي القرآن، توفي ببغداد سنة ١٢٧٠هـ، وتفسيره روح المعاني يقع في ثلاثين مجلدًا، وهو من أوسع كتب التفسير، فيه التفسير بالمأثور والمعقول والإشاري[١].

ويظهر للناظر في روح المعاني أن مؤلفه قد أفرغ فيه وسعه، وبذل مجهوده حتى أخرجه للناس كتابًا جامعًا لآراء السَلَف رواية ودراية، مشتملًا على أقوال الخَلَف بكل أمانة وعناية، فهو جامع لخلاصة كل ما سبقه من التفاسير، فتراه ينقل لك عن تفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيان، وتفسير الكشاف، وتفسير أبي السعود، وتفسير البيضاوي، وتفسير الفخر الرازي، وغيرها من كتب التفسير المعتبرة، وهو إذ ينقل عن تفسير أبي السعود يقول – غالبًا: قال شيخ الإسلام، وإذا نقل عن تفسير البيضاوي يقول – غالبًا: قال القاضي، وإذا نقل عن تفسير الفخر الرازي يقول – غالبًا: قال الإمام، وهو إذ ينقل عن هذه التفاسير ينصب نفسه حَكَمًا عدلًا بينها، ويجعل من نفسه نقَّادًا مُدققًا، ثم يبدي رأيه حرًا فيما ينقل، فتراه كثيرًا ما يعترض على ما ينقله عن أبي السعود، أو عن البيضاوي، أو عن أبي حيان، أو عن غيرهم، كما تراه يتعقب الفخر الرازي فى كثير من المسائل، ويرد عليه على الخصوص فى بعض المسائل الفقهية؛ انتصارًا منه لمذهب أبي حنيفة، ثم إنه إذا استصوب رأيًا لبعض مَن ينقل عنهم، انتصر له، ورجَّحَه على ما عداه[٢].

ومما يلاحظ على هذا التفسير إكثاره من المسائل الكونية ذات العلاقة غير الوثيقة بالتفسير، وإكثاره من ذكر المسائل النحوية إلى حد يخرجه من كونه مفسرًا،

(١) ينظر: المنار في علوم القرآن، ص ٣٠٤.

(٢) الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، القول في قصة تأليف هذا التفسير، انظر: التفسير والمفسرون، ٣٢/١.

وعند ذكر المسائل الفقهية فمنهجه أن يستوفي أقوال أهل العلم في المسألة، ثم بعد ذلك يختار من المسائل ما يؤيده الدليل من غير تعصب لمذهب معين، اتباعًا للحق، وقد أولى عنايته بنقد الروايات الإسرائيلية وتفنيد الأخبار المكذوبة، فنجده بعد أن ساق قصة من القصص الإسرائيلي يقول: "وليس العجب من جرأة من وضع هذا الحديث وكذب على الله –تعالى، إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره، ولا يبين أمره، ثم قال: ولا ريب في أن هذا وأمثاله من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسل الكرام –عليهم الصلاة والسلام– وأتباعهم"(١).

وعلى هذا النهج جرى كتابه منتهجًا تفنيده لتلك المرويات والأخبار، وقد تعرض إلى ذكر القراءات القرآنية الواردة في الآية الكريمة، واهتم بذكر أوجه المناسبات بين الآيات والسور، وذكر أسباب النزول لفهم الآيات، وفق أسباب نزولها إلى آخر ما تميز به.

الألوسي والتفسير الإشاري:

تناول الألوسي الحديث عن التفسير الإشارى بعد فراغه من الكلام عن كل ما يتعلق بظاهر الآيات، ومن هنا عَدَّ بعض العلماء تفسيره هذا ضمن كتب التفسير الإشارى، كما عَدَّ تفسير النيسابوري ضمنها كذلك، وقد صنفه الدكتور محمد حسين الذهبي في عِداد كتب التفسير بالرأى المحمود، يقول: "نظرًا إلى أنه لم يكن مقصوده الأهم هو التفسير الإشاري، بل كان ذلك تابعًا – كما يبدو – لغيره من التفسير الظاهر، وهذه – كما قلت من قبل – مسألة اعتبارية لا أكثر ولا أقل، وإنما أردت أن أُبيّن جهتي الاعتبار"(٢).

(١) الألوسي، شهاب الدين محمود بن محمد بن المهد، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٢٥٩/٣.

(٢) التفسير والمفسرون ١/ ٢٥٧.

وجملة القول.. فروح المعاني للعلاَّمة الألوسي ليس إلا موسوعة تفسيرية قيِّمة، جمعت جُلَّ ما قاله علماء التفسير الذين تقدَّموا عليه، مع النقد الحر، والترجيح الذى يعتمد على قوة الذهن وصفاء القريحة، وهو –وإن كان يستطرد إلى نواحيَ علمية مختلفة، مع توسع يكاد يخرجه عن مهمته كمفسِّر– متزن فى كل ما يتكلم فيه، مما يشهد له بغزارة العلم على اختلاف نواحيه، وشمول الإحاطة بكل ما يتكلم فيه.

وسوف يظهر جليًا الاتجاه الإشاري في تفسيره من خلال المبحثين التاليين.

المبحث الخامس

مناهج أهل التفسير الإشاري عند الألوسي

إن الباحث في تفسير الألوسي ليجد أن تفسيره امتاز بالموسوعية والشمولية ونقل آراء المفسرين بأمانة على اختلاف مشاربهم، وظاهرة الموسوعية والشمولية لم تقتصر على تفسيره الظاهري، بل ظهرت بشكل واضح لمن نظر وبحث في هذا التفسير.

حدد الألوسي منذ البداية مفهوم التفسير الإشاري: بأنه محصور في كلام السادة الصوفية[1]، وهذا يؤكد لنا أن التفسير الإشاري عند الألوسي يندرج تحته كل ما جاء من طريق أهل التصوف، سواء ما كان من كلامهم وجدانيًا أو فلسفيًا، وهو يعرض لكلام أهل التصوف دون أن يفرق بين التفسير الصوفي النظري، وبين التفسير الصوفي الإشاري، على نحو ما ذكرنا سابقًا.

لكن الذي يسجل له في هذا المجال من حيث الشكل لا من حيث المضمون أنه عرفنا بمناهج الاتجاه الإشاري في التفسير والتي يمكن حصرها من خلال النظر في هذا النوع من التفسير عند الألوسي بما يلي:

١. المنهج الإشاري الاستنباطي:

يقوم هذا المنهج على نقل كلام أهل التربية والسلوك من خلال تعمقهم في فهم دلالات كتاب الله -عز وجل- الذي لا تنقضي عجائبه، فمن أمثلة هذا المنهج عند قوله -تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ما نقله الألوسي عن بعض أهل الإشارة بأن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله -تعالى، بناء على أن الله -تعالى- أخبر برجوع العبد إليه -سبحانه- وخروجه من سجن الدنيا وأيدي الكاتبين، واضعًا نفسه له بأنه مولاه الحق المشعر

(١) روح المعاني، ١١/١.

بأن غيره –سبحانه– لا يعد مولى حقًا، ولا شك أنه لا أعز للعبد من أن يكون مرده إلى مولاه[١].

ومن أمثلته أيضًا عند قوله –تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩]، حيث ذكر عن بعض الصوفية بأن هذه الآية أشد آية في القرآن الكريم[٢]، ومن أمثلته أيضا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، قال: "أي وصلوا إلى المحل الأعلى والقربة والسعادة، ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، ظاهرًا وباطنًا، والخشوع في الظاهر انتكاس الرأس، والنظر إلى موضع السجود، وإلى مابين يديه، وترك الالتفات، والطمأنينة في الأركان ونحو ذلك[٣].

وهذا النوع من مناهج الاتجاه الإشاري نوع محمود؛ لأنه يعمق حقائق الإيمان.

٢.منهج حمل الآيات القرآنية على النفس الإنسانية:

ومن أمثلة هذا المنهج عند قوله –تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَب لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ﴾ [آل عمران: ٣٨]، حيث يقول الألوسي –رحمه الله: "وإن أردت تطبيق ما في الآفاق على ما في الأنفس، فتقول: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا﴾ حيث فسر زكريا بالاستعداد، وفسر الذرية الطيبة بالنفس الطاهرة المقدسة عن النقائص، والملائكة التي نادت زكريا هي القوى الروحانية، وامرأة زكريا تفسر بالنفس الحيوانية"[٤].

---

(١) روح المعاني، ٢٥٠/٧.

(٢) المصدر السابق، ٣٨٩/١٥. وينظر لتفصيل القول حول ذلك: هاني خليل محمد عابد، التفسير الإشاري في تفسير الإمام الألوسي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان ٢٠٠٣م، ص١٢٩.

(٣) المصدر السابق، ٣٧٢/١٨.

(٤) روح المعاني، ٢٠٣/٣، وانظر: للمزيد عن هذا المنهج، ٢٢٩/٣، ١٤٧/٩، ٤٦٥/٤، وللمزيد ينظر: التفسير الإشاري في تفسير الإمام الألوسي، ص١٣١.

وأصل هذا المنهج عائد إلى ابن عربي الذي ذهب إلى أن الجسم يمثل مدينة ومملكة إنسانية ترى أن الإنسان نسخة من العالم الأكبر، ومن كلام ابن عربي في هذا المجال قوله: "كما أن في العالم سباعًا وشياطين وبهائم ففي الإنسان الافتراس، وطلب القهر، والغلبة والغضب، والحقد، والحسد، وكما أن في العالم ملائكة بررة سفرة ففي الإنسان طهارة، وطاعة، واستقامة، وكما أن في العالم سماءً وأرضًا ففي الإنسان علو وسفل، وامشِ بهذا الاعتبار على العالم تجد النسخة الإلهية صحيحة، ما اختل حرف ولا نقص"(١).

ولا يخفى بطلان هذا المنهج؛ لأنه تحريف للكلم عن مواضعه، وخروج عن الدلالات اللغوية والشرعية للآيات القرآنية الكريمة، وسنناقش المزيد من الأدلة لدحض هذا المنهج عندما نقف مع سلبيات التفسير الإشاري عند الألوسي، والهدف في هذا المقام أن نبين أن الألوسي كان له دور في التقعيد لمناهج أهل الإشارة، وهذا مما يسجل له من حيث الشكل، ولكنه يؤخذ عليه عدم نقده التفصيلي لهذه المناهج مع تصريحه في بعض الأحيان بانتقاد هذا المسلك من التفسير؛ حيث وصف هذا المنهج بأنه مما لا يسر الخاطر ولا يشرح الصدر، كما أن اعتماده عليه قد تناقص في النصف الثاني لتفسير القرآن الكريم(٢).

٣. منهج حمل الآيات على اصطلاحات أهل التصوف:

من ذلك مصطلحات: المقام، والحال، والغيبة، والفناء، والبقاء، والفرق والجمع، والشيخ، والمريد، والطريق الصوفي، فمن أمثلة ذلك عنده قوله -تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦﴾ [النساء: ٦]، فالآية تتعلق بأحكام

(١) ابن عربي، محي الدين بن علي، التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية، ط١، وزارة الإعلام، سوريا، ٢٠٠٠م، ص ٢٥.

(٢) روح المعاني، ٩٥/٧، ٢٤٨/١٥.

اليتامى، والخطاب للأوصياء، وفي كيفية التعامل مع من جعل الله لهم عليهم سلطة من الأيتام الصغار، بحيث يطالب هؤلاء الأوصياء بفعل ما هو خير مع هؤلاء الذين جعل الله أمرهم بأيديهم، ولكن الألوسي يحمل هذه الآية على الطريق الصوفي، وما في هذا المجال من مصطلحات، كالمريد، والشيخ، والسائرين، والواصلين، وما يطلب من المشايخ الصوفية فعله مع المريدين، وأخذ العهد من قبل المشايخ على هؤلاء المريدين برعاية الحقوق مع الحق والخلق(١)، ولا يخفى ما في هذا المنهج من تعسف وخروج عن دلالات النص، والقول على النص ما لم يأت فيه.

وهذا المنهج يسلكه ابن عجيبة (١٢٢٤هـ) في تفسيره المسمى "البحر المديد"، حيث أتى بمنظومة متكاملة للطريق الصوفي، وكأن القرآن أنزل لتنظيم الطرق الصوفية، وتنظيم شئون أهل التصوف، ومن الأمثلة التي أتى بها ابن عجيبة عند قوله -تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١]، يقول ابن عجيبة: "والإشارة كما أوصى الله -تعالى- في أولاد البشرية أوصى على أولاد الروحانية، ويقع التفضيل قيمة الأمر، والعطف من الشيخ، فبقدر ما يقع في قلب الشيخ يسري إليه المدد"(٢).

وعند قول الحق -سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] يذهب ابن عجيبة إلى أن المقصود بأولي الأمر هم شيوخ التربية العارفون بالله، فيجب على المريدين طاعتهم في المنشط والمكره، وفي كل ما أمروا به، فمن خالف أو قال: لا؛ لم يفلح أبدا"(٣).

(١) روح المعاني، ٥٧٠/٤، وللمزيد ينظر: التفسير الإشاري في تفسير الإمام الألوسي، ص١٣١.

(٢) ابن عجيبة، أحمد بن محمد، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ط٢، مطابع العودة، إربد، ١٩٦٨م، ٣٨٨/٢، والتفسير الإشاري في تفسير الإمام الألوسي، ص١٣٣.

(٣) البحر المديد، ٤٣٥/٢، وانظر: ٥٣٦/٢، ٥٦٦/٢، ٥٨٧/٢.

وهكذا فإن الباحث في تفسير ابن عجيبة يجده قد جعل كثيرًا من أبواب الإشارة عنده منصرفةً إلى حمل الآيات القرآنية على الطريق الصوفي، وكأنك تقرأ في مصطلحات الصوفية التي ذكرها القشيري في الرسالة.

وهذا المنهج منهج مرفوض؛ لما فيه من خروج عن دلالات النص، فالقرآن لم ينزل من أجل تنظيم الطريق الصوفي، وإنما أنزل لهداية الناس أجمعين، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، والتربية والسلوك يجب أن تخضع لميزان الشرع.

وليس القصد الحديث عن بطلان هذا المنهج، وإنما القصد أن يسجل للألوسي –رحمه الله– براعته في التقعيد لمناهج أهل الإشارة، واستيعابها، وبيان كيفية استخدامها في تفسير كتاب الله –عز وجل، فهذا أمر يحمد للألوسي، كما أن نظراته تدعو الباحثين إلى الوقوف مع الاتجاه الإشاري، وسبر مناهجه، وأخذ ما ينفع الناس منه، بحيث تكون الهيمنة فيما يبحثون وإلى ما يذهبون لكتاب الله – سبحانه وتعالى، كما قال –عزّ وجلّ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨].

فدراسة الألوسي للتفسير الإشاري تتميز بالتوعية؛ لأنها لم تقف مع أقوال أهل الإشارة من أهل التصوف من السابقين والمتأخرين، ولكنها خطت خطوات نوعية عندما انتقلت من الوقوف مع الأقوال الإشارية التفسيرية إلى الكشف عن المناهج التي أفرزت هذه الأقوال، والتي تندرج جميعها ضمن اتجاه واحد يسمى الاتجاه الإشاري في التفسير.

أما المآخذ على التفسير الإشاري عند الألوسي فيمكن إجمالها فيما يلي:

أولًا: تأويل آيات العقيدة تأويلًا إشاريًا رمزيًا: يلاحظ هذا التأويل كثيرًا في التفسير الإشاري، فالملائكة تأويلها الإشاري: الاستعداد الروحي[1]، والكرسي

(١) روح المعاني، ١/٧٧٣.

تأويله: قلب العارف[١]، وموسى يرمز إلى القلب، وطالوت إلى الروح[٢]، والذي حاجّ إبراهيم في ربه يرمز إلى النفس الأمارة، وإبراهيم رمز إلى الروح[٣]، والجنة تتأول بالمقامات الصوفية، والجنة التي تجري من تحتها الأنهار ضمن التفسير الإشاري ترمز إلى مقامات السادة الصوفية، مثل التوكل، والتسليم[٤]، والشجرة التي أكل منها آدم هي شجرة الحرص[٥]، والعرش الذي استوى عليه الرحمن قلب العارف[٦].

إن في هذا عدولًا عن الحق إلى اتباع الظن، ولا يخفى بطلان هذا المنهج من عدة وجوه، هي:

١- إن القرآن الكريم كتاب هداية أنزله الله لهداية الناس، وإرشادهم إلى الحق ليحل لهم مشكلات الحياة، وتفسير القرآن بهذه الطريقة يضعنا أمام معضلات، ويغلق على الناس طريق فهم آيات الله -عز وجل، وهذا المنهج يعد من أكبر الشواغل عن فهم مقاصد القرآن الكريم.

يقول صاحب المنار -رحمه الله: "كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية والهداية السامية؛ فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب، وقواعد النحو، ونكت المعاني، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين، وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء المقلدين، وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق والمذاهب على بعضها البعض"[٧].

---

(١) روح المعاني، ١٩/٣.

(٢) المصدر السابق، ٧١٣/٣.

(٣) روح المعاني، ٣٥/٢.

(٤) المصدر السابق، ٣٦٣/٦.

(٥) روح المعاني، ٥١٣/٦.

(٦) المصدر السابق، ٥٥٥/٨.

(٧) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ١٣/١، والتفسير الإشاري في تفسير الإمام الألوسي،ص١٣٤.

٢- في هذا المسلك تَقَوّلٌ على الله -عز وجل- بغير علم؛ لأن طريق الإيمان بالغيبيات هو الوحي واليقين القاطع، فلا يجوز مع ذلك اللجوء إلى التعسف في التأويل.

يقول الدكتور عبد الرحمن حبنكة: "يجب علينا عقلًا أن نقف عند حدود النص الذي نقله الرسول لنا عن الوحي، دون أن نزيد عليه شيئًا من التخيلات والتصورات، ودون أن نتلاعب فيه بتأويلات تعسفية؛ لأن كل زيادة أو تخيل أو تأويل تعسفي إنما هو تحكم في الأمور الغيبية بالباطل إذ لا مستند لذلك من إدراك حسي، أو استنتاج عقلي، أونص موحى به"[(١)]، فلا طريق لمعرفة الحقائق اليقينية إلا عن طريق الوحي.

٣- إن الزعم بأن هذه الأقوال لا تعني إلغاء دلالة النص القطعية؛ لأن أرباب الإشارات -كما نقل الألوسي- يثبتون المعاني الحقيقية، ثم بعد ذلك يستخرجون معاني من وراء أطوار العقول -كلام مرفوض، وأوهى من بيت العنكبوت؛ لأن كلام ما وراء العقول هذا الذي يجعل من الملائكة قوى روحانية، والأنبياء الذين شرفهم الله رمزا لأعضاء الإنسان مثل القلب، والقصص القرآني رمز للنفس وللعقل وللروح، وهذه أقوال فرق ضالة ظهرت في الحضارة الإسلامية، مثل الباطنية الذين ذهبوا في التأويل كل مذهب؛ رميًا منهم إلى حل عرى الإسلام عروة عروة، ولقد رد عليهم الغزالي، فذكر بأن النبي عندهم عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية، وزعموا أن جبريل عبارة عن العقل الفائض، ورمز بأنه شخص متجسم متركب على جسم لطيف، وهذه المذاهب أيضًا مستخرجة من مذاهب الفلاسفة في النبوات، مع تحريف وتغيير"[(٢)]، فمنهج أهل الإشارة -

(١) حبنكة، عبد الرحمن حسن، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط ٦، دار القلم، دمشق، ١٩٩٢ م، ص٢٥، والتفسير الإشاري في تفسير الإمام الألوسي، ص١٣٤.

(٢) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، فضائح الباطنية، ط١، دار البشير، عمان، الأردن ١٩٩٣م، ص٢٧، والتفسير الإشاري في تفسير الإمام الألوسي، ص١٣٤.

والمتمثل في حمل الآيات على الأنفس، والذي أكثر الألوسي من نقله في تفسيره الإشاري كمنهج من مناهج الاتجاه الإشاري – هو عين كلام الباطنية الذي أخذوه بدورهم عن الفلاسفة الذين هم بدورهم نقلوه عن فلسفات يونانية، لا تستند إلى الوحي، ولا إلى الحق المبين.

كما أن هذا المنهج يفتح أبوابًا من الشر نعرج عليها للوقاية منها؛ إذ إن قبول هذه الأقوال التي تسلك سبيل الرمزية، وتحريف الكلم عن مواضعه من شأنه أن يكون حجة للباطنية، وغيرهم ممن يريدون بالإسلام والمسلمين شرًا؛ إذ إن للباطني أن يقول بأنكم تثبتون بأن هناك إشارات قرآنية تعرف من غير طريق العقل المنطق، وإنما هي عن طريق الكشف؛ لأنها ما وراء العقل فَلمَ تنكرون عليَّ ما أتيتُ به من تأويل؟ فمن خلال هذا المنهج يمكن لكل مؤول متحلل يحرف الكلم عن مواضعه أن يدخل تأويلاته الفاسدة، مع العلم بأن هذا المنهج فاسد في ذاته.

ثانيًا: عدم عزوه لمصادر الأحاديث التي أوردها في التفسير الإشاري رغم عزوه للأحاديث التي ترد في التفسير بصفة عامة، لكنه إذا جاء لإشارة من الإشارات فإنه يذكر الحديث دون عزو، ودون إسناد على الرغم أن معظم الأحاديث يمكن عزوها، وجلها من المقبول، ولعل الألوسي اكتفى بشهرة هذه الأحاديث؛ فلم يخرجها، إلا أن ذلك لا يقبل في ميدان التحقيق، ومما ينتقد عليه في هذا المجال ما يلي:

١- إيراد أحاديث لا أصل لها مثل حديث: "**ما وسعني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**"[(١)]، وهذا الحديث رده العلماء، فقد ذكر السخاوي -رحمه الله- أن هذا الحديث لا أصل له، وكذا قال ابن تيمية: وهو مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبي -صلى الله عليه وسلم، ومعناه:

(١) روح المعاني، ٢٢٩/٣.

وسع قلبه الإيمان بي، ومحبتي، ومعرفتي وإلا فمن قال إن الله -تعالى- يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده"[(١)].

ومن تلك الأحاديث الضعيفة ما استدل به الألوسي عند قوله -تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[المائدة: ٤٨]، حيث حمل الألوسي الآية على العارف السالك إذا قمع هوى النفس، وانكمش من هذا العالم إلى معالم القدس، فإن الله يفيض على قلبه سجال فضائله وسحائب بركاته، فتظهر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه حيث جاء في الحديث: **"من عمل بما علم ورثه الله -تعالى- علم مالم يعلم"**[(٢)].

فهذا الحديث الذي أورده الألوسي ولم يصرح بمصدره قال عنه "شارح الإحياء" مرتضى الزبيدي "بأنه حديث ضعيف، رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه، وقال العراقي: لا أصل له، وأورده صاحب القوت بلا سند"[(٣)].

٢- ومما يؤخذ على الألوسي تأويله أحيانًا للحديث الذي يورده في تفسيره الإشاري تأويلًا إشاريًا رمزيًا، ومثال ذلك ما أورده الألوسي من باب الإشارة في سورة الحج، حيث قال: "وقد أخرج مسلم عن ابن عباس أنه قال: صلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الظهر بذي الحليفة، ثم دعا بناقته، فأشعرها في صفحة سنامها الأيمن، وسالت عنها الدم، وقلدها نعلين ثم ركب راحلته"[(٤)].

حيث يقول الألوسي -رحمه الله: "والسر في كون هديه -عليه الصلاة والسلام- من الإبل مع أنه جاء فيها أنها من الشياطين، ولذا كرهت الصلاة في

---

(١) السخاوي، محمد عبد الرحمن، المقاصد الحسنة، ط١، دار الهجرة، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٧٣.

(٢) روح المعاني، ٤٨٥/٥ .

(٣) الزبيدي، محمد بن محمد، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م، ٦٦٣/١.

(٤) رواه مسلم،٩١٢/٢، كتاب الحج، باب إشعار الهدي وتقليده عند الإحرام، حديث رقم ١٢٤٣.

معاطنها – الإشارة إلى أن مقامه –عليه الصلاة والسلام– رد البعداء من الله حال التقريب، وفي أشعارها في سنامها الذي هو أرفع ما فيها إشعار منه بأنه –عليه الصلاة والسلام– أتى عليهم من صفة الكبرياء الذي كانوا عليه في نفوسهم، فليجتنبوها، فإن الدار الآخرة إنما جعلت للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا، ووقع الإشعار في الصفحة اليمنى؛ لأن اليمين محل الاقتدار والقوة، والصفحة من الصفح، ففي ذلك إشعار بأن الله يصفح عمن هذا صفته إذا طلب القرب من الله –تعالى"[(١)].

ولا شك أن المعاني التي ذكرها الألوسي في ذاتها صحيحة، فالرسول –صلى الله عليه وسلم– مهمته رد البعداء إلى الله –عز وجل، كما أن الله يصفح عن العبد إذا تقرب إليه، ولكن هذه المعاني لا ارتباط بينها وبين الحديث الذي ذكره؛ فالإبل خلق من خلق الله –عز وجل، وهي آية من آيات الله، دعا الله العباد للتأمل إلى دقيق عظمة الله في خلقها، فقال –سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

كما أن لاستنباط الأحكام من الآيات والأحاديث ضوابط وقيودًا، وهنا تكمن أهمية أخذ العلم عن المجتهدين الذين يجب عليهم أن يمعنوا النظر في الكتاب والسنة، وما يدلان عليه من أجل استنباط أحكام الشرع منهما، قال –تعالى– مادحًا هؤلاء العلماء: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

فالحديث خاص بشعيرة من شعائر الحج، وهو تقليد الهدي، ولا مجال لمعرفة العلل في هذا الأمر؛ لأن هذا الأمر تعبدي، وإذا كان الإشاري يبحث عن الأسرار فإن من أعظم أسرار هذا الدين هو الانقياد لحكم الله رب العالمين. نعم هناك حكم لهذه العبادات، ولكن لا قطع لهذه الحكم إلا بتوجيه قوي للدليل المتكلم عنه.

(١) روح المعاني، ٣١٩/١٧.

٣- ومن غريب أمر الألوسي في مجال الحديث الشريف الذي أدخله إلى تفسيره الإشاري أنه أدخل أحاديث موضوعة باطلة في ذاتها، ونص على بطلانها، ولكنه راح في باب الإشارة يستخرج منها إشارات ودلالات، فيقول عند قول الحق - سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾[الحج: ٥٢]: "والآيات على قول من زعم صحة حديث الغرانيق إلى أنه ينبغي أن يكون للعبد فناء في إرادة مولاه -عز وجل، وإلا ابتلي بتلبيس الشيطان ليتأدب، ولا يبقى ذلك التلبيس لمنافاته الحكمة"(١).

ولكن قصة الغرانيق باطلة جملةً وتفصيلًا؛ لأن معنى الآية :﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ إيمان الناس؛ لينجوا من العذاب، ويعظم له عند الله الثواب، فحينئذ ألقى الشيطان في طريق أمنيته الشبه والشكوك في عقول الناس حتى لا يؤمنوا ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ أي: يبطله بما يبديه الرسول من المعجزات والدلائل، ﴿ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ﴾ ويثبتها في قلوب الناس وعقولهم، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يقول الشيطان، ﴿حَكِيمٞ﴾ في تمكينه من ذلك ليختبر عباده.

وتفسير الآية بهذا المعنى واضح معقول يتمشى مع نظم القرآن، ويوافق حال الرسل في حرصهم على إيمان الناس(٢)، فهذه القصة - وتسمى قصة الغرانيق- منكرة باطلة، وأول نكارة في تلك القصة تسلط الشيطان على النبي -صلى الله عليه وسلم- بإلقاء شيء على لسانه وهو لا يعلمه، مع أن من البدهيات العقلية عصمة النبي من الشيطان! فكيف تمكن منه في هذه الحادثة؟ فهل كان نائمًا؟ لنفرض ذلك فهو معصوم في نومه، ولذا كانت رؤيا الأنبياء وحيًا يعمل بها في التشريع، كما في قصة الذبيح إسماعيل -عليه السلام، ثم كيف خفي عليه -صلى الله عليه وسلم- تناقض الكلامين؛ إذ إن لفظة الأخرى من قوله -تعالى: ﴿وَمَنَوٰةَ

(١) روح المعاني، ٢٤٧/١٧.

(٢) الغماري، عبد الله بن محمد، خواطر دينية، ط١، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٦٨ م، ص ٤١.

﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠] صفة ذم، وكلام الشيطان فيه مدح، وهل يجوز في عقل أن يمتزج كلامان متناقضان على لسان أفصح العرب وأعلمهم بكلام الله تعالى، ثم لا يشعر بتنافرهما ؟!! ثم بعد هذا كله كيف يسلي الله نبيه بأن جميع الرسل تمكن الشيطان أن يلقي على لسانهم ما لم يوح إليهم؟ وما معنى العصمة الواجبة لهم عقلًا[١]؟ فكيف تكون هذه القصة بعد بطلانها مجالًا للإشارة واستخراج الدلائل مع تصادمها مع أصول الدين وتنافيها مع عصمة الأنبياء؟ والأحاديث لها قواعد للتصحيح والتضعيف، ولا تخضع للكشف والتأويل الرمزي بغير بينة ولا برهان.

ثالثًا: إدخال القضايا الفلسفية التي تتنافى مع التصور الإسلامي حول الكون والإنسان والحياة:

ومما يؤخذ على تفسير الألوسي إدخاله لقضايا منافية للتصور الإسلامي والعقيدة الإسلامية، ونظرتها إلى الخالق وإلى الكون وإلى الرسل –صلوات الله عليهم، وإلى الحياة، ومن هذه القضايا قضية وحدة الوجود[٢]، والحقيقة المحمدية[٣]، والحق أن تفسير الألوسي الإشاري لو جرد من هذه القضايا الفلسفية لكان خيرًا عظيمًا.

(١) خواطر دينية، ص ٤٢.

(٢) روح المعاني، ١٥/٢٥، ١٨٩، ٢٢٠.

(٣) انظر: المصدر السابق، ١١٧/٦، ١٤٧/٩، ٥١٦/٨، ١٤٣/١٧، ٨٤/٢٥، ٧٧/١١.

المبحث السادس
نماذج إشارية من تفسير الألوسي

النموذج الأول:

في قوله -تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ يقول الألوسي: "وفي ذلك إشارة إلى أن السلوك إنما يصح بعد تصحيح العقائد ومعرفة الأحكام الشرعية، ليكون السالك على بصيرة في أمره، وإلا فهو كمن ركب متن عمياء، وخبط خبط عشواء، ومتى سلك على ذلك الوجه حصل له الفوز بالمطلوب، وتفجرت ينابيع الحكمة من قلبه، وصار ما يقذف به قلبه كالعسل شفاء من علل الشهوات وأمراض النفس، ولا سيما مرض التثبط والتكاسل عن العبادة، وهو المرض البلغمي[1].

قال أبو بكر الوراق: النحلة لما اتبعت الأمر وسلكت سبل ربها على ما أمرت به جعل لعابها شفاء للناس، كذلك المؤمن إذا اتبع الأمر وحفظ السر وأقبل على ربه -عز وجل- جعل رؤيته وكلامه ومجالسته شفاء للخلق، فمن نظر إليه اعتبر، ومن سمع كلامه اتعظ، ومن جالسه سعد.

وفي الآية إشارة أيضًا إلى أنه -تعالى- قد يودع الشخص الحقير الشيء العزيز، فإنه -سبحانه- أودع النحل وهي من أحقر الحيوانات وأضعفها العسل، وهو من ألذ المذوقات وأحلاها، فلا ينبغي التقيد بالصور والاحتجاب بالهيئات"[2].

يشير الألوسي إلى أن السالك في طريق الإيمان لا غنى له عن العلم في أية مرحلة من مراحل سلوكه، ففي ابتداء سيره لا بد له من علم العقائد، وتصحيح العبادات، واستقامة المعاملات، وفي أثناء سلوكه لا يستغني عن علم أحوال القلب،

(١) انظر: روح المعاني، ٤٤٥/٧.
(٢) المصدر السابق ، ٤٤٥/٧.

وحسن الأخلاق، وتزكية النفس، ولهذا اعتُبر اكتساب العلم الضروري من أهم النقاط الأساسية في المنهج العملي للتصوف[١]، وفي نقله لكلام الوراق الصوفي يدل على أهمية لزوم الشريعة لدى الصوفية، ولطالما رغب الصوفية في ذلك، حتى قال أبو يزيد البسطامي: "لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة"[٢].

النموذج الثاني:

في قوله -تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٣٨-٤٢].

يبدأ الألوسي بتفسير الآيات تفسيرًا واضحًا ظاهرًا، ثم يشير إلى النكات النحوية واللغوية -على عادته- في التفسير، ثم ينقل آراء السابقين من مفسرين

(١) د/ عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، دار العرفان – حلب- سوريا ط١٦، سنة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص ٩١،٩٢.

(٢) القشيري، الإمام عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، دار جوامع الكلم، د .ت ص ٢٥.

وغيرهم، وبعد ذلك يشير إلى الإشارات الخفية في الآية، فـ (وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ) أي: المتناول من الأنفس، والمتناولة من القوى النفسانية للشهوات التي حرمت عليها، (فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا) أي: امنعوهما بحسم قدرتهما بسيف المجاهدة وسكين الرياضة، (جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا) من تناول ما لا يحل تناوله لهما (نَكَٰلًا) أي: عقوبة من الله -عز وجل، (سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ) ووساوس شيطان النفس، (سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ)، وهم القوى النفسانية، (لَمْ يَأْتُوكَ) أي: ينقادوا لكم، أو (سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ) يسنون السنن السيئة، (يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ)، وهي التعينات الإلهية (مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ) فيزيلونها عما هي من الدلالة على الوجود الحقاني، أو يغيرون قوانين الشريعة بتمويهات الطبيعة- كمن يؤوّل القرآن والأحاديث على وفق هواه، وليس ما نحن فيه من هذا القبيل كما يزعمه المحجوبون؛ لأن ذلك إنما يكون بإنكار أن يكون الظاهر مرادا لله -تعالى، وقصر مراده -سبحانه- على هذه التأويلات، ونحن نبرأ إلى الله -عز وجل- من ذلك فإنه كفر صريح، وإنما نقول: المراد هو الظاهر، وبه تعبد الله -تعالى- خلقه، لكن فيه إشارة إلى أشياء أخر لا يكاد يحيط بها نطاق الحصر، يوشك أن يكون ما ذكر بعضا منها (وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا) قال ابن عطاء: "من يحجبه الله -تعالى- عن فوائد أوقاته لم يقدر أحد إيصاله إليه (أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ)، أي: بالمراقبة والمراعاة وقال أبو بكر الوراق: طهارة القلب في شيئين: إخراج الحسد والغش، وحسن الظن بجماعة المسلمين، (أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ) وهو ما يأكلونه بدينهم، (فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ) مداويا لدائهم إن رأيت التداوي سببا لشفائهم (أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ) إن تيقنت إعواز الشفاء لشقائهم، (وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ) أي: داوهم على ما يستحقون ويقتضيه داؤهم[1].

(١) انظر: روح المعاني،٣/ ٣١٥.

النموذج الثالث:

ومما قاله في التفسير الإشاري بعد أن فسر قوله -تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥] إلى آخر الآيات، بعدها قال: "ومن باب الإشارة في الآيات: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ) الإيمان الحقيقي حتى نصل إلى مقام المشاهدة والعيان، (فَأَخَذَتْكُمُ) صاعقة الموت- الذي هو الفناء في التجلي الذاتي- وأنتم تراقبون أو تشاهدون، ثم بعثناكم بالحياة الحقيقية والبقاء بعد الفناء؛ لكي تشكروا نعمة التوحيد والوصول بالسلوك في الله -عز وجل، (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ) غمام تجلي الصفات- لكونها حجب شمس الذات المحرقة سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره، (وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ) من الأحوال والمقامات الذوقية الجامعة بين الحلاوة وإذهاب رذائل أخلاق النفس، كالتوكل، والرضا، وسلوى الحكم والمعارف والعلوم الحقيقية التي يحشرها عليكم ريح الرحمة، والنفحات الإلهية في تيه الصفات عند سلوككم فيها، فتسلون بذلك السَّلْوى وتنسون من لذائذ الدنيا كل ما يشتهي، (كُلُوا) أي: تناولوا وتلقوا هذه الطيبات التي رزقتموها حسب استعدادكم، وأعطيتموها على ما وعد لكم، (وَمَا ظَلَمُونَا) أي: ما نقصوا حقوقنا وصفاتنا باحتجابهم بصفات أنفسهم، ولكن كانوا ناقصي حقوق أنفسهم بحرمانها وخسرانها، وهذا هو الخسران المبين، (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ) أي المحل المقدس الذي هو مقام المشاهدة (وَادْخُلُوا الْبَابَ) الذي هو الرضا بالقضاء، فهو باب الله -تعالى- الأعظم، (سُجَّدًا) منحنين خاضعين لما يرد عليكم من التجليات، واطلبوا أن يحط الله -تعالى- عنكم ذنوب صفاتكم وأخلاقكم وأفعالكم، فإن فعلتم ذلك (نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) «**فمن تقرب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إليّ ذراعًا، تقربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**»، (وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) المشاهدين «**ما لا عين رأت، ولا**

أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[(١)]، وهل ذلك إلا الكشف التام عن الذات الأقدس"[(٢)].

يصور الألوسي في هذا النص رحلة السالك إلى ربه، والتي تبدأ بالمجاهدة، ويتخللها فناء السالك في التجلي الذاتي، ثم يعقبه مقام البقاء، والذي أطلق عليه أنه بعث، ويتم فيه الوصول إلى مقام المشاهدة.

قال ابن عطاء الله السكندري في تفسير قول الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]: أي يقولون ربنا الله بالمجاهدة، ثم استقاموا على بساط المشاهدة[(٣)]. وحقيقة المشاهدة التي أشار إليها الألوسي على نوعين:

الأولى: ثمرة صحة اليقين.

والثانية: غلبة المحبة؛ لأنه في حال غلبة الحب يصل الإنسان إلى درجة يكون مشغولًا بمحبوبه، ولا يرى غيره، كما قال محمد بن واسع : "ما رأيتُ شيئًا قط إلا ورأيت الله فيه"[(٤)].

النموذج الرابع:

قال الألوسي بعد تفسير قوله -تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [البقرة: ٦٣]: من باب الإشارة والتأويل في الآية (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ) المأخوذ بدلائل العقل بتوحيد الأفعال- والصفات، ورفعنا فوقكم طور- الدماغ للتمكن من فهم المعاني وقبولها، أو أشار سبحانه- بالطور- إلى موسى القلب، وبرفعه إلى علوه واستيلائه في جو الإرشاد، وقلنا (خُذُوا)، أي: اقبلوا ما آتَيْناكُمْ من كتاب العقل الفرقاني

(١) صحيح البخاري، ١١٨/٤(٣٣٤٤)، وصحيح مسلم، ٢١٧٤/٤(٢٨٢٤).

(٢) روح المعاني، ١/ ٢٦٩.

(٣) الهجويري، أبو الحسن علي بن عثمان، كشف المحجوب، ترجمة : محمود أحمد ماضي أبو العزائم، بدون طبعة، ص ٢٧٩.

(٤) المصدر السابق.

بجد، وعوا ما فيه من الحكم والمعارف والعلوم والشرائع؛ لكي تتقوا الشرك والجهل والفسق، ثم أعرضتم بإقبالكم إلى الجهة السفلية بعد ذلك، فلولا حكمة الله – تعالى– بإمهاله وحكمه بإفضاله لعاجلتكم العقوبة، ولحل بكم عظيم المصيبة، فهذه الإشارة إنما يعرفها ذو الوجد والمشاهدة، وهي لأصحابها رياض يانعة وأنوار لامعة(١).

يتحدث الألوسي هنا عن الميثاق الذي أخذه الله على عباده بأن يعبدوه وحده، وأن لا يشركوا به شيئا، وذكر دليل العقول على وجوب توحيده في صفاته وأفعاله.

النموذج الخامس:

في قوله –تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧]، قال الألوسي: ومن باب الإشارة في الآيات: (وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) بسيف المحبة،(أَوْ مُتُّمْ) بالموت الاختباري، (لَمَغْفِرَةٌ)، أي: ستر لوجودكم، (مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ) منه –تعالى– بتحليكم بصفاته –عز وجل، (خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) أي: أهل الكثرة، (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ)، أي: باتصافك برحمة رحيمية، أي: رحمة تابعة لوجودك الموهوب الإلهي، لا الوجود البشري (لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا)، موصوفًا بصفات النفس كالفظاظة والغلظ (لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ)، ولم يتحملوا مؤنة ذلك، أو يقال: لو لم تغلب صفات الجمال فيك على نعوت الجلال لتفرقوا عنك ولما صبروا معك، أو يقال: لو سقيتهم صرف شراب التوحيد غير ممزوج بما فيه لهم حظ لتفرقوا هائمين على وجوههم غير مطيقين الوقوف معك لحظة، أو يقال: لو كنت مدققًا عليهم أحكام الحقائق لضاقت صدورهم ولم يتحملوا أثقال حقيقة الآداب في الطريق، ولكن سامحتهم بالشريعة والرخص، (فَٱعْفُ عَنْهُمْ) فيما يتعلق بك من تقصيرهم معك لعلو شأنك، وكونك لا ترى في

(١) روح المعاني،١/ ٢٨٢.

الوجود غير الله، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ فيما يتعلق بحق الله -تعالى- لاعتذارهم، أو استغفر لهم ما يجري في صدورهم من الخطرات التي لا تليق بالمعرفة، ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ إذا كنت في مقام الفعل؛ اختبارا لهم، وامتحانا لمقامهم ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ﴾، وذلك إذا كنت في مقام مشاهدة الربوبية والخروج من التفرقة إلى الجمع ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ فإنه حسبك فيما يريد منك وتريد منه[1].

يشير الألوسي هنا إلى مقام الجمع والفرق عند الصوفية، فمن أشهده الحق -سبحانه- أفعاله عن طاعاته ومخالفاته فهو عبد يوصف بالتفرقة، ومن أشهده الحق -سبحانه- ما يوليه من أفعال نفسه -سبحانه- فهو عبد يشاهد الجمع .. ولا بد للعبد من الجمع والفرق، فإن من لا تفرقة له لا عبودية له، ومن لا جمع له لا معرفة له، فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ [سورة الفاتحة ٥]: إشارة إلى الفرق، وقوله ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[سورة الفاتحة ٥]: إشارة إلى الجمع[2].

النموذج السادس:

قوله -تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[النساء: ١٤٨].

قال الألوسي: ومن باب الإشارة في الآيات: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾، أي: لا يحب أن يهتك العبد ستره إذا صدرت منه هفوة أو اتفقت منه كبوة، ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾، أي: إلا جهر من ظلمته نفسه برسوخ الملكات الخبيثة فيه، فإنه مأذون له بإظهار ما فيه من تلك الملكات وعرضها على أطباء القلوب ليصفوا له دواءها، وقيل: لا يُحِبُّ اللَّهُ -تعالى- إفشاء سر الربوبية وإظهار مواهب الألوهية، أو كشف القناع من مكنونات الغيب ومصونات غيب الغيب إِلَّا مَنْ ظُلِمَ بغلبات الأحوال، وتعاقب كئوس الجلال والجمال، فاضطر إلى المقال، فقال

(١) روح المعاني،٢/ ٣٤١.

(٢) الرسالة القشيرية ص ٧٣ .

باللسان الباقي لا باللسان الفاني: أنا الحق، وسبحاني ما أعظم شأني، وفي تسمية تلك الغلبة ظلمًا خفاء لا يخفى[١].

ويرى الألوسي أن في ظاهر الآية بشارة عظيمة للمذنبين، حيث بيّن –سبحانه– أنه لا يرضى بهتك الستر إلا من المظلوم، فكيف يرضى –سبحانه– من نفسه أن يهتك ستر العاصين وليسوا بظالميه –جل جلاله؟ وإنما ظلموا أنفسهم كما نطق بذلك الكتاب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ﴾ هؤلاء قوم احتجبوا بالجمع عن التفصيل، فأنكروا الرسل؛ لتوهمهم وحدة منافية للكثرة، وجمعًا مباينًا للتفصيل، ومن هنا عطلوا الشرائع وأباحوا المحرمات وتركوا الصلوات، ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: الإيمان بالكل جمعًا وتفصيلًا، والكفر بالكل (سَبِيلًا)، أي: طريقًا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ المحجوبون ﴿حَقّٗاۚ﴾ بذواتهم وصفاتهم؛ لأن معرفتهم وهم وغلط، وتوحيدهم زندقة وضلال، ولَقتل واحد منهم أنفع من قتل ألف كافر حربي –على ما أشار إليه حجة الإسلام الغزالي[٢].

حديث الألوسي في هذا النص عن إفشاء الأسرار عند الصوفية، والمقصود بالسر: ما يقذفه الله في قلب العبد من الفهوم، ومنها يعرّف العبد بما يريده الله من تصاريف الأكوان[٣]، وهناك من الأسرار ما لا يمكن تصوره ولا توهمه، فضلًا عن أن تصل إليه العبارة، ولهذا يقول الحاتمي عن مضرة إفشاء الأسرار:

نبّه على السر، ولا تفشه فالبوح بالسر له مقت[٤]

وقد وضح الألوسي أنه لا يجب إفشاء تلك الأسرار إلا من غُلب عليه أمره؛ فوقع في غلبة الأحوال عليه، وهنا سينطق بألفاظ قد يعتقد فيها السامع كفر

(١) روح المعاني، ٣/ ١٩٥.
(٢) المصدر السابق، ٣/ ١٩٥-١٩٦.
(٣) أيمن حمدي، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء، د. ت ص ٦٥.
(٤) المصدر السابق ص ٣٣.

قائلها، كقول الحلاج: أنا الحق، وقول أبي يزيد البسطامي: سبحاني ما أعظم شأني.

وذكر الألوسي في الآية الأخرى خطأ الاتحادية من الصوفية، الذين يرون بأنهم وصلوا إلى درجة ارتفعوا فيها عن الأمر والنهي، فتركوا الصلاة، وأهملوا الشرائع، فأكد أن توحيد هؤلاء زندقة وضلال، بشهادة الصوفية أنفسهم، كالغزالي، وغيره.

النموذج السابع:

قول الله –تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف: ١٨٩].

قال الألوسي: "هذا «ومن باب الإشارة في الآيات» (هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ) وهي الروح، وَخَلَقَ (مِنْهَا زَوْجَهَا)، وهي القلب (لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)، أي: ليميل إليها، ويطمئن، فكانت الروح تشم من القلب نسائم نفحات الألطاف، (فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا)، أي: جامعها، وهو إشارة إلى النكاح الروحاني، والصوفية يقولون: إنه سائر في جميع الموجودات ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، (حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا) في البداية بظهور أدنى أثر من آثار الصفات البشرية في القلب الروحاني، (فَلَمَّآ أَثْقَلَت): كبرت، وكثرت آثار الصفات، (دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا)؛ لأنهما خافا من تبدل الصفات الروحانية النورانية بالصفات النفسانية الظلمانية"[(١)].

والحديث هنا عن النفس الواحدة عند الصوفية، وهي النفس المذكورة في الآية، والتي يقابلها في الأفلاطونية ونظرية فيلون مصطلح النفس الكلية، ويعنى بها: النفس الكاملة المطلقة[(٢)].

---

(١) روح المعاني، ٥/ ١٤٥.

(٢) د/ محمد الكحلاوي، مقاربات وبحوث في التصوف المقارن، دار الطليعة، بيروت ط١، ٢٠٠٨م، ص ١٥٧.

النموذج الثامن:

قول الله -تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ١-٤].

يقول الألوسي: "ومن باب الإشارة في الآيات (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ)، إذ لم يرتفع عنهم إذ ذاك حجاب الأفعال، (قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ)، أي: حكمها مختص بالله -تعالى- وبالرسول مظهرية (فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ) بالاجتناب عن رؤية الأفعال رؤية فعل الله -تعالى، (وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ) بمحو صفحات نفوسكم التي هي منشأ صدور ما يوجب التنازع والتخالف، (وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ) بفنائها؛ ليتيسر لكم قبول الأمر بالإرادة القلبية الصادقة (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) الإيمان الحقيقي، (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ) كذلك (ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ) بملاحظة عظمته -تعالى- وكبريائه وسائر صفاته، وهو ذكر القلب، وذكره -سبحانه وتعالى- بالأفعال ذكر النفس، (وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ)، أي: خافت؛ لإشراق أنوار تجليات تلك الصفات عليها، (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا) بالترقي من مقام العلم إلى العين"[(١)].

وقد جاء أن الله تجلى لعباده في كلامه لو يعلمون، (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)؛ إذ لا يرون فعلًا لغيره -تعالى، وذكر بعض أهل العلم أنه -سبحانه وتعالى- نبه أولا بقوله -عز قائلا: (وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) على بدء حال المريد؛ لأن قلبه لم يقو على تحمل التجليات في المبدأ، فيحصل له الوجل، كضربة السعفة، ويقشعر لذلك جلده، وترتعد فرائصه، وأما المنتهي فقلما يعرض له ذلك لما أنه قد قوي قلبه على

(١) روح المعاني، ٥/ ١٧١.

تحمل التجليات، وألفها، فلا يتزلزل لها، ولا يتغير، وعلى هذا حمل السهروردي ما روي عن الصديق الأكبر -رضي الله -تعالى- عنه أنه رأى رجلا يبكي عند قراءة القرآن فقال: هكذا حتى قست القلوب، حيث أراد حتى قويت القلوب؛ إذ أدمنت سماع القرآن، وألفت أنواره، فما تستغربه حتى تتغير، ونبه ثانيًا -سبحانه وتعالى- بقوله -جل وعلا: (زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) على أخذ المريد في السلوك والتجلي وعروجه في الأحوال، وثالثًا بقوله -عز شأنه: (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)، على صعوده في الدرجات والمقامات، وفي تقديم المعمول إيذان بالتبري عن الحول والقوة والتفويض الكامل، وقطع النظر عما سواه -تعالى، وفي صيغة المضارع تلويح إلى استيعاب مراتب التوكل كلها، وهو كما قال العارف أبو إسماعيل الأنصاري أن يفوّض الأمر كله إلى مالكه، ويعول على وكالته، وهو من أصعب المنازل، وهو دليل العبودية التي هي تاج الفخر عند الأحرار، والظاهر أن الخوف الذي هو خوف الجلال والعظمة يتصف به الكاملون أيضًا، ولا يزول عنهم أصلًا، وهذا بخلاف خوف العقاب، فإنه يزول، وإلى ذلك الإشارة بما شاع في الأثر: «**نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه**»(١).

(ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ) أي: صلاة الحضور القلبي، وهي المعراج المعنوي إلى مقام القرب، (وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ) من العلوم التي حصلت لهم بالسير (يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا)؛ لأنهم الذين ظهرت فيهم الصفات الحقة، وغدوا مرايا لها، ومن هنا قيل: المؤمن مرآة المؤمن، (لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ)، من مراتب الصفات وروضات جنات القلب، (وَمَغْفِرَةٌ) لذنوب الأفعال، (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) من ثمرات أشعار التجليات الصفاتية، وقال بعض العارفين: المغفرة إزالة الظلمات الحاصلة من

(١) روح المعاني، ٥/ ١٧٢.

الاشتغال بغير الله -تعالى، والرزق الكريم الأنوار الحاصلة بسبب الاستغراق في معرفته ومحبته، وهو قريب مما ذكرنا[١].

تحدث الألوسي هنا عن أمور عدة لدى الصوفية مثل الوجل الذي يحصل للمريد في بداياته، وهو رجفان القلب، وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته[٢]، والتوكل حيث عرفه بنفس التعريف الذي قال به الإمام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي في كتابه منازل السائرين، ولكن رأيه فيه أنه من أصعب المنازل ليس على إطلاقه؛ لأن نص عبارة الهروي "هو من أصعب منازل العامة عليهم، وأوهى السبل عند الخاصة"[٣].

والخوف، حيث أوضح أن خوف العقوبة أو خوف العقاب -كما أسماه- قد يزول؛ لأنه خوف العامة، أما خوف الجلال والعظمة الذي ذكر أنه لا يزول فلأنّ الذي يتصف به الكاملون، وهذه الدرجة من الخوف متعلقة بذاته -سبحانه- وصفاته[٤].

النموذج التاسع:

قول الله -تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[هود: ٥٦].

يقول الألوسي: هذا ومن باب الإشارة في الآيات: قوله -سبحانه- في قصة هود -عليه السلام: (مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) ففيه إشارة إلى أن كل ذي نفس تحت قهره -سبحانه- وسلطانه، أسير في يد تصرفه، وملكته

(١) روح المعاني، ٥/ ١٧٢.

(٢) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ٥٠٨/١.

(٣) الهروي، أبو إسماعيل الأنصاري، منازل السائرين، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت، ص ٤٣-٤٤.

(٤) مدارج السالكين ١/ ٥١٢.

عاجزة عن الفعل إلا بإذنه، وأنه -عز وجل- لا يسلط أحدًا على أحد إلا عن استحقاق ذنب، أو رفع درجة وإعلاء منزلة؛ لأنه تبارك وتعالى على طريق العدل الذي لا اعوجاج فيه، وذكر الشيخ الأكبر في فصوصه: إن كل ما سوى الحق فهو دابة فإنه ذو روح، وما ثم من يدب بنفسه، وإنما يدب بغيره بحكم التبعية للذي هو على صراط مستقيم، فكل ماش فهو على الصراط المستقيم، وحينئذ فلا مغضوب عليه ولا ضال من هذا الوجه، نعم إن الناس على قسمين[١]: أهل الكشف، وأهل الحجاب، فالأولون يمشون على طريق يعرفونها ويعرفون غايتها، فهي في حقهم صراط مستقيم، كما أنها في نفس الأمر كذلك، والآخرون يمشون على طريق يجهلونها ولا يعرفون غايتها، وأنها تنتهي إلى الحق، فهي في حقهم ليست صراطًا مستقيمًا، وإن كانت عند العارف صراطًا مستقيمًا، واستنبط -قدس سره- من الآية أن مآل الخلق كلهم إلى الرحمة التي وسعت كل شيء، وهي الرحمة السابقة على الغضب، وادعى أن فيها بشارة للخلق أيّ بشارة[٢].

يتضح من كلام الألوسي أنه يدور حول عقيدة وحدة الوجود لدى فلاسفة المتصوفة، والتي نتج عنها القول بعقيدة وحدة الأديان؛ فالدين كله واحد، وإن شئت قلت: العبادة الصحيحة هي أن ينظر العبد إلى جميع الصور على أنها مجال لحقيقة ذاتية واحدة، هي الله، ومن أقوال ابن عربي في ذلك:

عقد الخلائق في الإله عقائدا وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه[٣]

ولا يخفي فساد هذه العقيدة، حتى عند الصوفية أنفسهم، حيث نقد هذا الكلام الدكتور أبو الوفا التفتازاني[٤] وغيره.

---

(١) روح المعاني، ٦/ ٣٢٤.

(٢) المصدر السابق، ٦/ ٣٢٥.

(٣) التفتازاني، د/ أبو الوفا الغنيمي، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة ط٣، ص ٢٠٣،٢٠٤.

(٤) المصدر السابق.

النموذج العاشر:

قول الله -تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١-٢].

يقول الألوسي: ومن باب الإشارة في الآيات قيل: (قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ)، أي: وصلوا إلى المحل الأعلى والقربة والسعادة، (ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ) ظاهرًا وباطنًا، والخشوع في الظاهر: انتكاس الرأس، والنظر إلى موضع السجود، وإلى ما بين يديه، وترك الالتفات والطمأنينة في الأركان، ونحو ذلك، والخشوع في الباطن: سكون النفس عن الخواطر والهواجس الدنيوية بالكلية، أو ترك الاسترسال معها، وحضور القلب لمعاني القراءة والأذكار، ومراقبة السر بترك الالتفات إلى المكونات، واستغراق الروح في بحر المحبة، والخشوع شرط لصحة الصلاة عند بعض الخواص، نقل الغزالي عن أبي طالب المكي عن بشر الحافي: من لم يخشع فسدت صلاته، وهو قول لبعض الفقهاء وتفصيله في كتبهم، ولا خلاف في أنه لا ثواب في قول أو فعل من أقوال أو أفعال الصلاة أدى مع الغفلة، وما أقبح مصل يقول ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وهو غافل عن الرب -جل شأنه، متوجه بشراشره إلى الدرهم والدينار، ثم يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥] وليس في قلبه وفكره غيرهما، ونحو هذا كثير، ومن هنا قال الحسن: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع[(١)].

وقد ذكروا أن الصلاة معراج المؤمن أفترى مثل صلاة هذا تصلح لذلك، حاش لله -تعالى- من زعم ذلك، فقد افترى ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ قال بعضهم: اللغو كل ما يشغل عن الحق -عز وجل، وقال أبو عثمان: كل شيء فيه للنفس حظ فهو لغو، وقال أبو بكر بن طاهر: كل ما سوى الله -تعالى- فهو لغو، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾: هي تزكية النفس عن الأخلاق الذميمة،

(١) روح المعاني، ٩/ ٢٧١.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾: إشارة إلى استيلائهم على القوة الشهوية، فلا يتجاوزون فيها ما حد لهم(١).

وقد يكون مفيدًا أن نوضح في ختام هذا المبحث أن مجموع الصفحات التي احتوت على كلام أهل الإشارة والتي عمل الإمام الألوسي على جمعها وعرضها ومناقشة بعضها يصل إلى قرابة الأربعمائة صفحة، فإذا ما عرفنا أن تفسير الألوسي يقع في خمسة عشر مجلدًا، يحتوي كل مجلد على خمسمائة صفحة، علمنا أن حصة التفسير الإشاري من تفسير الألوسي والتي تشكل قرابة مجلد أوما يقاربه لو عمل على إفرادها فتكون حصة التفسير الإشاري نسبة واحد إلى خمسة عشر أي بنسبة أربع ونصف بالمئة من مجمل تفسيره، وهي نسبة ليست بالكبيرة.

كما إن الذين تحاملوا على الألوسي بسبب ما ذكره من تفسير إشاري في تفسيره لو تبينوا أن نسبة التفسير الإشاري في تفسيره قليلة لما تحاملوا عليه، ولما أنكروا عليه صنيعه، ومن هؤلاء المنكرين من يقول: "عجبا للألوسي –وهو صاحب تلك العقلية الكبيرة– كيف غابت عنه حقائق الأشياء في هذه النقطة الخطيرة التي جلبت على المجتمع الإسلامي أكبر الويلات؟!"(٢).

(١) روح المعاني، ٩/ ٢٧١.

(٢) محسن عبد الحميد، الآلوسي مفسرًا، مطبعة العارف، بغداد، ١٩٦٥م، ص ٢٣١.

الخاتمة

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، أبرزها:

١- التفسير الإشاري هو أحد أنواع التفسير بالرأي؛ لأنه مبني على أساس النظر والاستدلال لبيان ما خفي من المعاني على غير أرباب السلوك الذين عرفوا الحقيقة من العمل بالشريعة.

٢- أن المعاني الإشارية لا تنافي ظواهر الآيات مع أنها لم تسق للمعنى الإشاري، وقد أكد تعريف التفسير الإشاري هذه المسألة بالقيد "يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة".

٣- أن نشأة التفسير الإشاري وتطوره مرتبط بنشأة التصوف وانتشاره، وذلك بدءًا من القرن الثاني الهجري، ومرورًا بعصر دخول الفلسفة وانتشارها بين العرب، والتأثر بالمنطق، وآلة العقل، ومنهج الفلاسفة الاستدلالي في القرن الثالث الهجري، وانتهاء بالعصر الحاضر.

٤- التفسير الإشاري مقبول لدى علماء الأمة الإسلامية، ما لم يخالف شرطًا من الشروط والضوابط المعتبرة التي تم تفصيلها في هذا البحث.

٥- يجب عدم الاعتماد على التفاسير الإشارية دون التفاسير الأخرى، وهذا ما حذر منه الشيخ الزرقاني.

٦- يجب عدم الانسياق وراء الشطحات والتخييلات التي تخرج بالنص القرآني عن مراده ومعناه المتوخى.

٧- لا صلة بين التفسير الإشاري وتفاسير الباطنية والتفاسير المزعومة؛ وذلك لموافقة التفسير الإشاري للضوابط والشروط المتفق عليها عند العلماء، ولمخالفة غيره لتلك الضوابط والشروط.

٨- أن ضوابط التفسير الإشاري متفق عليها عند معظم العلماء، وهي ضوابط محكمة في قبول المعاني الإشارية في آيات القرآن الكريم.

٩- انخفض حجم التفسير الإشاري عند الألوسي في تفسيره للنصف الثاني للقرآن بعد الجزء السادس عشر، ليصبح تعرضه للسورة أقل من أربع مرات ليصل إلى مرة

واحدة، وأحياناً يترك الكلام الإشاري بالكلية؛ ولعل سبب ذلك يعود إلى إدراكه عدم صلاحية بعض المناهج في التفسير الإشاري، وخاصة ما يتعلق بالمنهج الذي يهدف إلى حمل الآيات القرآنية على النفس الإنسانية، ولذلك أخذ كلامه حول التفسير الإشاري ينحصر في أقل من أربع مرات، ثم إلى مرتين، ثم إلى مرة، وأحياناً لا يتكلم بشيء.

١٠- سلك الألوسي مسلك الاعتدال في إشاراته مقارنة بغيره من المفسرين أمثال التستري (سهل بن عبد الله) المتوفى سنة (٢٨٣هـ) في تفسيره المسمى: (تفسير القرآن العظيم)، وغيره؛ فالألوسي لم يسرف في ذكر مسائل هذا الاتجاه الإشاري كما لم يهملها؛ لأن هدفه لم يكن مسألة أن يصنف تفسيره تحت كتب التفسير الإشاري أو التفسير بالرأي بقدر ما هدف إلى إبراز مناهج هذا الاتجاه، والإرشاد إلى مصادره، ومناقشة قضاياه ومسائله، وحَسْب الألوسي أنه حاول فهم هذا النوع من التفسير وساعد القارئ في كيفية التعامل معه.

١١- كان للألوسي دور في التقعيد لمناهج أهل الإشارة، وهذا أمرٌ يسجل له من حيث الشكل، ولكنه يؤخذ عليه عدم نقده التفصيلي لهذه المناهج مع تصريحه في بعض الأحيان بانتقاد هذا المسلك من التفسير، حيث وصف هذا المنهج بأنه مما لا يسر الخاطر ولا يشرح الصدر، كما أن اعتماده عليه قد تناقص في النصف الثاني لتفسير القرآن الكريم .

١٢- انحصرت مناهج الاتجاه الإشاري عند الألوسي في المنهج الإشاري الاستنباطي، وهو نوع محمود، ومنهج حمل الآيات القرآنية على النفس الإنسانية، وهذا نوع مذموم، ويؤخذ عليه أنه استشهد بأحاديث ضعيفة، وأخرى لا أصل لها.

١٣- دراسة الألوسي للتفسير الإشاري تميزت بالتوعية؛ لأنها لم تقف مع أقوال أهل الإشارة من أهل التصوف من السابقين والمتأخرين، ولكنها خطت خطوات نوعية عندما انتقلت من الوقوف مع الأقوال الإشارية التفسيرية إلى الكشف عن المناهج التي أفرزت هذه الأقوال، والتي تندرج جميعها ضمن اتجاه واحد يسمى الاتجاه الإشاري في التفسير.

فهرس المصادر والمراجع

١-**ابن أبي شيبة**، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.

٢-**ابن الأثير**، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (المتوفى : ٦٠٦هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، ط ١، ١٣٨٩ هـ، ١٩٦٩م.

٣-**ابن الصلاح**، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين (المتوفى: ٦٤٣هـ)، فتاوى ابن الصلاح، تحقيق: د. موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب – بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.

٤-**ابن تيمية**، أحمد بن عبد الحليم، العبودية، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٣٩٢هـ.

٥-**ابن جزي**، محمد بن أحمد، تقريب الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: محمد علي، ط١، دار الأقصي، المغرب، ١٩٩٠م.

٦-**ابن عجيبة**، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ، وطبعة مطابع العودة، ط ٢،إربد، ١٩٦٨م.

٧-**ابن عربي**، محي الدين بن علي، التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية، ط١، وزارة الإعلام، سوريا، ٢٠٠٠م.

٨-**ابن عطية الأندلسي**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١٤٢٢،١ هـ.

٩-**ابن قيم الجوزية**، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي- بيروت ط٣، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٠- **أبو سعيد الخادمى**، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، الحنفي (المتوفى: ١١٥٦هـ)، بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، مطبعة الحلبي، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٤٨هـ.

١١- **الألوسي**، شهاب الدين محمود بن محمد، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد البارى عطية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

١٢- **أيمن حمدي**، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء، د. ت

١٣- **البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة،ط ١، ١٤٢٢هـ.

١٤- **البغدادي**، عبد القاهر، الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

١٥- **البقاعي**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (المتوفى: ٨٨٥هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

١٦- **الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط ٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

١٧- **التستري**، سهل بن عبد الله، تفسير القرآن العظيم، مطبعة السعادة، سنة ١٩٠٨م.

١٨- **التفتازاني**، د/ أبو الوفا الغنيمي، مدخل إلى التصوف الإسلامي،دار الثقافة ط٣، د.ت.

١٩- التفتازاني، سعد الدين، شرح العقائد النسفية، تحقيق الدكتور/ أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م، ص١٤٣، وشرح العقائد النسفية مع حاشية جمع الفرائد بإنارة شرح العقائد ويليهما شرح ميزان العقائد، مكتبة المدينة، باكستان، ط ١، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.

٢٠- **التكريتي**، سلمان نصيف جاسم، تفسير القران الكريم على الطريقة الصوفية، دراسة وتحقيق حقائق التفسير لأبي عبدالرحمن بن محمد بن الحسين الأزدي السلمي، رسالة ماجستير، مكتبة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م.

٢١- **الثعالبي**، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (المتوفى: ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط ١، - ١٤١٨هـ.

٢٢- **الثعلبي**، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم (المتوفى: ٤٢٧ هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، وآخرون، تحقيق: عدد من الباحثين، دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥م.

٢٣- **جولد تسهير**، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: عبد الحليم النجار، تقديم ودراسة/ محمد عوني عبد الرؤوف، طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ٢٠١٣م.

٢٤- **حامد محمود الزفري**، محي الدين بن عربي مفسرًا، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر، القاهرة، سنة ١٩٧٢م.

٢٥- **حبنكة**، عبد الرحمن حسن، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط ٦،دار القلم، دمشق، ١٩٩٢م.

٢٦- **حسن عبد التواب**، التفسير الصوفي للقرآن، رسالة دكتوراه بمكتبة كلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف القاهرة، سنة ١٩٧٢م.

٢٧- **الحلبي**، نور الدين محمد عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح – دمشق، ط ١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٢٨- **محمد سالم أبو عاصي**، علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، دار البصائر – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

٢٩- **حمزة محمد قاسم**، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – المملكة العربية السعودية، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.

٣٠- **الخطيب الشربيني**، شمس الدين، محمد بن أحمد الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥هـ.

٣١- **الخلوتي**، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي, المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، روح البيان، دار الفكر – بيروت.

٣٢- **الذهبي**، محمد حسين (المتوفى: ١٣٩٨هـ):

- تفسير ابن عربي للقرآن حقيقته وخطره، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢، د. ت.
- التفسير والمفسرون، ط٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت، وطبعة مكتبة وهبة، القاهرة.

٣٣- **الرومي**، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٣٤- **الزبيدي**، محمد بن محمد، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م.

٣٥- **الزُّرْقاني**، محمد عبد العظيم (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، د.ت.

٣٦- **الزركشي**، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (المتوفى: ٧٩٤هـ)،البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.

٣٧- **الزركلي**، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٧، ٢٠١٧م.

٣٨- **زكي مبارك**، التصوف الإسلامي، ط ١، مطبعة الرسالة، ١٩٣٨م.
٣٩- السخاوي، محمد عبد الرحمن، المقاصد الحسنة، ط١،دار الهجرة، بيروت، ١٩٨٦م.
٤٠- **السمين الحلبي**، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.
٤١- **السيوطي**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ):
- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- الدر المنثور، دار الفكر – بيروت.
٤٢- **الشاطبي**، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٤٣- **الصابوني**، محمد علي، التبيان في علوم القرآن، ط٣، دار إحسان للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ٢٠٠٣م.
٤٤- **الطبراني**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير،تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢، د.ت.
٤٥- **الطوسي**، اللمع، حققه وقدم له وخرج أحاديثه د/ عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المتنبي ببغداد، لجنة نشر التراث الصوفي، ١٣٨٠هـ، ١٩٦٠م.

٤٦- **عبد القادر عيسى**، حقائق عن التصوف، دار العرفان – حلب- سوريا ط١٦، سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٤٧- **عبد الله خضر حمد**، الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية، دار القلم، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م.

٤٨- **عرجون**، محمد الصادق، محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم: منهج رسالة، ط٢، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥م.

٤٩- **العسقلاني**، ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق وتصحيح: ابن باز مستو، دار اللواء، الرياض،ط٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٥٠- **عمر بن شبة** (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة لابن شبة، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة، ١٣٩٩هـ.

٥١- **الغزالي**، أبو حامد محمد بن محمد، فضائح الباطنية، ط١، دار البشير، عمان، الأردن ١٩٩٣م.

٥٢- **الغماري**، عبد الله بن محمد، خواطر دينية، ط١، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٦٨م.

٥٣- **الفيروزابادي**، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، د.ت.ط.

٥٤- **القشيرى**، لطائف الإشارات، تحقيق الدكتور: إبراهيم بسيونى، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، القاهرة، سنة ١٩٨١م.

٥٥- **القشيري**، الإمام عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية، دار جوامع الكلم، د .ت

٥٦- **الماتريدي**، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٥٧- **محسن عبد الحميد**، الألوسي مفسرًا، مطبعة العارف، بغداد، ١٩٦٥م.

٥٨- **محمد الكحلاوي**، مقاربات وبحوث في التصوف المقارن، دار الطليعة، بيروت ط١، ٢٠٠٨م.

٥٩- **محمد رشيد رضا**، تفسير المنار، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

٦٠- **محمد عبد الله الشرقاوي**، الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي مصادره وآثاره، تحليل ونقد، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٦١- **محمد علي الحسن**، المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م.

٦٢- **محمد كمال إبراهيم جعفر**، التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٠م.

٦٣- **مسلم بن الحجاج** أبو الحسن القشيري النيسابوري (د.ت.)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٦٤- **نبيل أحمد صقر**، منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، الدار المصرية – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.

٦٥- **النعماني**، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: الشيخ عادل

أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت /لبنان، ط١، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

٦٦- **نيكلسون**، أرنولد، في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة الدكتور أبي العلا عفيفى، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر.

٦٧- **هاني خليل محمد عابد**، التفسير الإشاري في تفسير الإمام الألوسي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان ٢٠٠٣م.

٦٨- **الهجويري**، أبو الحسن علي بن عثمان، كشف المحجوب، ترجمة : محمود أحمد ماضي أبو العزائم، بدون طبعة.

٦٩- **الهروي**، أبو إسماعيل الأنصاري، منازل السائرين، دار الكتب العلمية — بيروت، د.ت.

٧٠- **الهروي**، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٧١- **هنري كوربان**، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروة، وحسن قبيسي، عويدات للنشر، بيروت، ط ٢، ١٩٦٨م.